مجلة
كلية الآداب

المجلد السابع عشر

١٩٦٣

تطلب هذه المجلة من مكتبة كلية الآداب بجامعة الاسكندرية
بالشاطبي ، وتوجه المكاتبات الخاصة بالناحية العلمية إلى
هيئة تحرير المجلة

مطبعة جامعة الإسكندرية
١٩٦٤

فهـــرس

صفحة

الأعياد الفارسية فى العالم الاسلامى
للدكتور طه ندا ١

من تاريخ العراق فى العصر البويهى
للدكتور حسين أمين ٤٥

كليومينيس وسياسته المالية فى مصر فى عهد الاسكندر الأكبر
للدكتور مصطفى العبادى ٦٥

التخطيط العمرانى فى مصر القديمة
للدكتور محمد أبو المحاسن عصفور ٨٧

الأعياد الفارسية فى العالم الاسلامى

للدكتور لطفى عبد البديع

أشهر الأعياد الفارسية القديمة التى عرفها المسلمون فى المجتمع الاسلامى : النوروز والمهرجان ، السدق .

وفى سبب إتخاذ كل عيد من هذه الأعياد أساطير كثيرة . ولما كانت هذه الأعياد قد عرفت عند الإيرانيين فى عهود سحيقة فقد أصبح من المتعذر على الباحث أن يهتدى إلى قول فصل فى سبب احتفالهم بها ، ومتى كان ذلك ، يضاف إلى هذا أن العهود الفارسية القديمة كالعهد البيشدادى ، والعهد الكيانى عهود اسطورية .

ولكن الباحث حين يعز عليه أن يصل إلى الحقيقة فى سبب اتخاذ الايرانيين هذه الأعياد لاينبغى له أن يهمل الأساطير لأن أساطير أى شعب من الشعوب مرآة للمجتمع الذى كان يعيش فيه ذلك الشعب ، وهى تصور عاداته وتقاليده وآماله وأمانيه ومثله العليا فى الحياة . وحين نظم الفردوسى ، شاعر الفرس الأكبر ، ملحمته التاريخية الكبرى « الشاهنامه » كان يعرف ان جانباً كبيرا منها يقوم على الأسطورة . ومع ذلك قضى من عمره ثلاثين عاما ينظم فيها تاريخ إيران بما حواه من أساطير وحقائق . وحين فرغ أهدى هذه الملحمة الى الشعب الايرانى على عهده ليجلو بها مفاخر الايرانيين القدماء أمام أنظار معاصريه عسى أن يكون بعث الماضى بعثاً للهمم التى تراخت ، وتجديداً للحيوية التى أوشكت على النضوب .

وعلى هذا فلا بأس هنا فى أن نعرض على القارىء بعض ماروى فى أسباب اتخاذهم هذه الأعياد ، ومتى كان ذلك ، فى بداية الحديث عن كل عيد من هذه الأعياد .

١ — النوروز

أصل النوروز :

أما النوروز (١) فتروى الشاهنامة أن مبدأ هذا العيد كان فى عهد الملك جمشيد أحد ملوك الدولة البيشدادية (٢) ، فانه لما استقرت له الأمور وهدأت فى مملكته الأحوال صنع لنفسه عرشاً مرصعاً بالجواهر تحمله له الجن أينما حل أو ارتحل . وكان إذا حل فى مكان أقامه على مرتفع من الأرض مواجها للشمس ، فاذا أشرقت عليه تلألأت جواهره وخطف بريقها الأبصار ، وعم ضياؤها الكون . وعندما ارتقى جمشيد هذا العرش لأول مرة صادف هذا اليوم الأول من شهر فروردين فاتخذوه مبدأ للسنة الفارسية عندهم وسموه « نوروز » أى اليوم الجديد . واحتفلوا بتلك المناسبة ، مناسبة ارتقاء جمشيد عرشه العجيب ، احتفالا عظيما ، وجعلوا ذلك اليوم عيداً عندهم من ذلك التاريخ (٣) .

وتروى «نوروزنامه» (٤) ، سببا آخر فتقول إنه اتخذ عيداً على عهد افريدون (٥) ، حينما انتصر على الضحاك . وتذكر أن افريدون قسم مملكته بين أولاده فخص «تور» بمنطقة تركستان من نهر جيحون حتى الصين ، ومنح ابنه الثانى « سلم » بلاد الروم ، وجعل بلاد ايران من نصيب «ايرج» ، ومن هنا ترى « نوروزنامه » ان جميع ملوك الترك والعجم والروم

---

(١) يرد فى المؤلفات العربية نوروز ، فيروز والأولى هى الصحيحة .

(٢) الدولة البيشدادية أولى الدول الأسطورية فى تاريخ الفرس . والكلمة مكونة من بيش ، داد أى أهل العدل ، وملوك هذه الأسرة هم جيومرث ، هوشنك ، طهمورث ، جمشيد ، ازدهاك (الضحاك) ، فريدون ، منوچهر ، نوذر ، زو ، كشتاسب .

(٣) شاهنامه : ج ١ ص ٢٥ ط بروخيم طهران .

(٤) راجع الاشارة إلى هذه الرسالة ص من هذا البحث .

(٥) الملك السادس من ملوك الدولة البيشدادية . مدة ملكه فى الشاهنامة خمسمائة سنة . وهو من ملوك العهد الأسطورى . واشتهر عنه الايرانيين بالعدل واستطاع أن يخلصهم من الضحاك وظلمه . وله ذكر كثير فى الأدب والمؤلفات العربية .

من أصل واحد لأنهم جميعاً من أبناء افريدون . ومن واجب أعقابهم أن يحتفظوا بهذا العيد الذى احتفل به جدهم افريدون مادامو جميعاً من نسله (١) .

ويعرف عيد النوروز هذا باسم « نوروز جمشيدى » نسبة إلى الملك جمشيد الذى اتخذ هذا العيد فى عهده حسب الرواية الأولى . ويستمر هذا العيد ستة أيام يسمى أولها «النوروز الصغير » أو «نوروز العامة» لأن الملوك كانوا يبرزون للعامة فى هذا اليوم . وكانوا يقضون حوائج الناس ويسمعون شكاواهم فى الأيام الأربعة التى تليه . أما اليوم السادس والأخير من أيام الاحتفالات بهذا العيد فيسمونه النوروز الكبير أو « نوروز الخاصة » لأن الملك يجتمع فيه بخاصة أتباعه يأنس بهم ويلهو معهم (٢) ، أو يجتمع مع وزرائه ليحثهم على فعل الخير ويأمرهم بالاحسان إلى الناس وإقامة العدل بينهم (٣) .

عاداتهم فى النوروز :

ولهم فى هذا العيد رسوم وتقاليد فكان من رسم ملوكهم من أيام كيخسرو (٤) حتى أيام الملك يزدجرد (٥) ، أن أول من يمثل أمام الملك فى يوم النوروز هو الموبد موبدان (٦) ومعه كأس ذهبية امتلأت خمراً ، وخاتم ، ودرهم ودينار خسروانى ، وسيف ، وسهم ، قوس ، ودواة ، وقلم ، وحصان ، ولعبة ، وغلام مليح . ثم يبدأ الموبد موبدان فى الدعاء للملك

---

(١) الخيام : نوروزنامه ص ١٠ تصحيح مجتبى مينوى .

(٢) القلقشندى : صبح الأعشى ج ٣ ص ٤٠٨ ط الأميرية ١٩١٣

(٣) برهان قاطع .

(٤) من ملوك الدولة الكيانية وهى دولة أسطورية أيضاً وأن لم يخل أمرها من حقائق. وملوك هذه الدولة : كيقباد ، كيكاوس ، كيخسرو ، لهراسب ، كشتاسب ، بهمن ، اسفنديار هماى ، داراب بن بهمن بن اسفنديار ، داراب بن داراب .

(٥) هو يزدجرد بن شهريار بن كسرى پرويز آخر ملوك الدولة الساسانية أعظم دول الفرس شأناً قبل الاسلام . قضى عليها الفتح العربى .

(٦) هو كبير رجال الدين . وفى يده تتركز السلطة الدينية . وله نفوذ وتأثير كبير على الملوك . والموبد هو رجل الدين عند المجوس .

أن يرفقه الله لحفظ الدين ، وأن يبقيه على العرش ليفتح بلاداً جديدة ويحيي سنن الاقدمين فى علو الهمة ، وفعل الخير ، ونشر العدل ، واتباع الصراط المستقيم ، وأن يظل رأسه مرفوعاً ، وشبابه ناضراً ، وفرسه مظفراً ، وسيفه فى رقاب الاعداء قاطعا ، وبازيه فى الصيد غانما ، وقصره عامراً ، وعمره طويلا حافلا (١) ، وإذا فرغ الموبد من مدح الملك والدعاء له أقبل بعد ذلك عظماء الدولة يقدمون ولاءهم (٢) .

ومن عادة ملوك الفرس فى هذا العيد أن يتلقوا هدايا غيرهم من الملوك ويتقبلوا هدايا رعيتهم لا فرق فى ذلك بين الخاصة والعامة .

وكانت هدايا ملوك الأمم إلى ملك الفرس تضم طرائف وعجائب تلك الأمم . فمن الهند كانوا يهدونه الفيلة والسيوف والمسك والجلود . ومن بلاد التبت والصين كان يتلقى هدايا المسك والحرير والأوانى . ومن الروم الديباج والبسط (٣) .

ومن الهدايا التى سجلت فى التاريخ هدية ملك الروم إلى ملك الفرس كسرى پرويز فى عيد النوروز . وكانت تلك الهدية فارسا من ذهب على شهرى من فضة ، وقد صنعت عينا الشهرى من جزع ابيض محدق بالسواد ، وجعلت ناصيته وعرفه وذنبه من شعر أسود . وفى يد هذا الفارس صولجان من ذهب وإلى جانبه ميدان من فضة توسطته كرة عقيق أحمر . ويحمل الميدان ثوران من فضة ، والشهرى يبول الماء وكلما بال انحط الصولجان على الكرة فمر بها إلى أقصى الميدان فتحرك بحركاتها الثوران والميدان ، ويركض الفارس على عجل تحت حوافر الشهرى (٤) .

---

(١) الخيام : نوروزنامه ص ١٩

(٢) نفس المصدر .

(٣) الجاحظ : المحاسن والاضداد ص ٢٨١ ط لبنان .

(٤) المحاسن والاضداد : ص ٢٨٣ .

وكان أفراد الشعب يهدون ملكهم مما يملكون مهما يكن قدره . وجرت عادة القواد والمرازبة والاساورة أن يهدوا النشاب والاعمدة المصمتة (١) من الذهب والفضة . وجرت عادة الوزراء والكتاب والاشراف أن يهدوا جامات الذهب والفضة المرصعة بالجوهر والبزاة والعقبان والفهود . وكان الحكماء يهدون الحكمة ، والشعراء الشعر ، واصحاب الجوهر الجوهر ، وأصحاب نتاج الدواب الفرس الفاره والشهرى النادر والحمار المصرى والبغال الهماليج . هكذا كان كل فرد يهدى مما عنده ولو كان دينارا أو درهماً من ضرب سنته أو اترجة أو سفرجلة أو تفاحة (٢) .

وكل هدية تقدم إلى الملك فى هذا العيد تقيد لصاحبها فى الديوان مهما يكن قدرها . وترد هذه الهدية إلى صاحبها أضعافا مضاعفة إذا أصابه ضيق واحتاج إلى المال . وعلى كل من قدم هدية أن يأتى ديوان الملك إذا نابته نائبه ويعرض أمره على القائم بإثبات هذه الهدايا فى الديوان فيقدم له الاعانة المطلوبة بأمر الملك (٣) .

وكانت نساء الملك وجواريه يتسابقن فى تقديم الهدايا اليه . ومن واجب نسائه إذا علمت إحداهن ميله إلى جاريه من جواريها أن تسارع فتهديها اليه فى هذه المناسبة فى أبهج حلة وأكمل زينة . وهذا من شأنه أن يزيد قدرها عند الملك ويرفع مكانها لأنها فضلته على نفسها وقدمت له مالا تقدمه امرأة لزوجها وجادت بما لا تستطيع النساء أن تجود به (٤) .

---

(١) العمود من آلات القتال عند الفرس القدماء ويسمى أيضاً الجرز (جكورز) والدبوس . وينسب إلى افريدون أنه أول من صنع هذا السلاح فى حربه مع الضحاك ويعلق العمود فى حلقة السرج .

(٢) المحاسن والاضداد : ص ٢٨٢ .

(٣) الجاحظ : التاج ١٤٩ ط الأميرية ١٩١٤

(٤) نفس المصدر ص ١٤٨ .

وكان من عادة ملوك العجم الا يحتفظوا فى خزائنهم بالكسوة من فصل إلى فصل كما يفعل عامة الناس فكانوا إذا جاء النوروز فرقوا ما عندهم من كسوة الشتاء وإذا أقبل المهرجان وزعوا مالديهم من كسوة الصيف (١) :

وينعقد مجلس الملك فى أحد أيام النوروز للنظر فى شكاوى الناس ويؤذن للشعب فى شهود هذا المجلس . ولايجرؤ أحد من أتباع الملك أو رجال حاشيته أن يمنع فردا من الشعب من حضور هذا المجلس . ومن فعل ذلك فقد أثم إثما عظيما . ولكى يطمئن الملك إلى أنه لم يبق فى البلاد شاك ولامتظلم كان يعلن للناس جميعاً عن موعد انعقاد هذا المجلس قبله بأيام لتتاح لهم الفرصة لإعداد شكاواهم .

وإذا انعقد المجلس بدىء بفحص الشكاوى الموجهة ضد الملك نفسه : وعند ذاك ينهض الملك من مجلسه ويتقدم مع خصمه حتى يقفا أمام الموبد الكبير الذى يستمع إلى الشكوى ويفحصها بدقة ويحكم فيها بالعدل . أما إذا ظهر بطلان الشكوى فالويل للشاكى لأنه أراد أن يسىء إلى الملك ويطعن فى المملكة (٢) ، وإذا فرغ الملك من مظالمه فى نفسه انتقل إلى مجلسه فوق العرش وأخذ ينظر فى بقية المظالم التى تقدم اليه من الشعب . وكان الملك فى سبيل رد المظالم لايجامل أحداً من خاصته أو كبار رجال دولته حتى لايطمع طامع منهم فى ظلم الناس أو الاستبداد بهم خصوصا وقد بدأ بنفسه وضرب لهم المثل . وظلت الحال على هذا المنوال فيما يتعلق برد المظالم ودفع الأذى عن الناس من عهد أرشير بن بابك (٣) ، إلى أن تولى الملك يزدجرد الأثيم (٤) ، الذى أهمل هذه السنة الحميدة

---

(١) الجاحظ : التاج ص ١٥٠

(٢) التاج ص ١٦١

(٣) اردشير بن بابك مؤسس الدولة الساسانية (٢٢٦ – ٢٤١ م) .

(٤) هو يزدجرد بن سابور بن سابور ذى الأكتاف وهو الملك الثالث عشر من ملوك الأسرة الساسانية ويعرف بيزدجرد الأثيم لظلمه وكثرة آثامه (٣٩٩ – ٤٢٠ م) .

وطغى فى الأرض وتجبر وعز عليه أن تتصف الرعية من الراعى ، وأن تنظلم السوقة من الملوك ، وأن يتساوى الوضيع والرفيع (١) .

وكان الملك إذا زار عظيما من عظماء مملكته فى بيته عدت هذه الزيارة حدثا تاريخياً ، وأضفت على المزور شرفاً رفيعاً يؤدى إلى جملة من المزايا والمنافع فلا يحبس أحد من أهله أو أتباعه لأمر ارتكبه أو جناية جناها ، ولايطالب بما عليه من خراج أرضه إذا لم يتقدم هو بدفعه ، وتعرض هداياه على الملك يوم عيد النوروز والمهرجان قبل غيرها من الهدايا (٢) .

وكانوا قبل النوروز يبنون فى صحن دار الملك اثنى عشرة اسطوانه من لبن تزرع أنواعا مختلفة من البقول أو الحبوب كالبر والشعير والعدس والذرة ، فاذا وافى عيد النوروز حصدوها فى اليوم السادس منه وهم يغنون وينشدون . وكانوا يزرعون هذه الحبوب تفاؤلا بها . وكانوا أشد تفاؤلا بالشعير (٣) .

والخروج إلى البساتين والحدائق أمر شائع عند الملوك والشعب فى هذا العيد فكان كسرى پرويز مثلا (٤) ، يخرج إلى بستانه كل نوروز ليقضى هناك أسبوعين فى قصف ولهو . وفى هذا البستان اكتشف پرويز مغنيه المشهور فى تاريخ الغناء والموسيقى الايرانية «باربد» على نحو ماترويه الشاهنامة (٥) .

وكان وجوه الناس يدعون إلى الموائد الملكية التى تقام فى عيد النوروز أو غيره ويدخلون الايوان على طبقاتهم ثم يتخذ كل منهم مكانه على المائدة

---

(١) التاج : ص ١٦٣

(٢) نفس المصدر : ص ١٥٨

(٣) يتفاءل الفرس بالشعير لبركته وسنافه وفى سبب تفاؤلهم بالشعير أنظر القصة ٣٣ من نوروز نامه

(٤) من ملوك الدولة الساسانية المشهورين (٥٩٠ – ٦٢٨) ويكتب فى المصادر العربية پرويز وكسرى أبرويز .

(٥) شاهنامه : ج ٩ : ص ٢٨٨٣ داستان باربد واشكر .

حسب درجته . ويقف الخدم من ورائهم لخدمتهم . ويتصدر الملك الايوان بحيث يرى جميع المدعوين . وإذا انتهوا من طعامهم داروا عليهم بأقداح الشراب من فضة أو ذهب . وكانت الاقداح الذهبية تقدم للطبقة العليا ولمن دونهم تقدم أقداح الفضة . وكانت هذه الاقداح والكئوس من الروعة بحيث أغرت بعض المدعوين على سرقتها فى الوليمة التى أقامها أنو شيروان (١) .

وكان للغناء دوره الأساسى فى احتفالات الملوك بهذه الأعياد . وتناولت الاغانى موضوعات شتى كان أهمها بطبيعة الحال مدح الملك ، والترنم ببطولته والتحدث بنعمته ، فاذا فرغ هذا الجزء المهم من موضوعات الأغنية انتقلت بعد ذلك إلى موضوعات أخرى كوصف الطبيعة والتغنى بجمالها . وكان أبرز المغنين فى العهد الساسانى «باربد»(٢) ، وكان لباربد هذا فى كل يوم شعر جديد ولحن جديد(٣) ونال باربد مكانة كبيرة فى بلاط كسرى برويز واصبح من أعظم رجال القصر شأناً . وكان رجال الحاشية إذا خافوا أن يبلغوا الملك خبراً من الأخبار المزعجة توسلوا إلى باربد ليقوم

---

(١) التاج : ص ١٠١

(٢) ويقال له فى المصادر العربية باربد ، بربد ، بلبد ، بهلبذ ، قهربد ، قهربذ ، فهلبد ، فهلبذ ، وكان آية زمانه فى الغناء والموسيقى . كما كان يقول الشعر أيضاً ينظمه ويلحنه ويغنيه وغلبت عليه صناعة الغناء والموسيقى وكان أساتذة الموسيقى يتخذون آراءه فى هذا الفن حجة ، ويغترفون من فيض ألحانه . وكان له فى كل يوم من أيام الأسبوع لحن . وقد جمعت هذه الألحان السبعة وعرفت فى كتب الموسيقى والمؤلفات الاسلامية بالطرق الملوكية . وكذلك جعل لكل يوم من أيام الشهر لحنا . وقد عرفت هذه الألحان بألحان باربد الثلاثين ، وأشارت اليها المؤلفات الاسلامية فى الموسيقى أو التاريخ أو الأدب . وقد جمعها نظامى الشاعر الفارسى المشهور فى منظومته « خسرو وشيرين » . ولم يكتف باربد بهذا إذ لحن لكل يوم من أيام السنة لحنا ومن ألحانه المعروفة خلق الله « يزدان آفريد » ، انتقام ايرج « كين ايرج » ، حديقة شيرين « باغ شيرين » ، النوروز الكبير « نوروز بزرك » وحديقة السرو « سروستان » والليلة السعيدة « شب فرخ » واليوم السعيد « فرخ روز » .. الخ . وإلى باربد هذا يشير البحترى فى قصيدته التى مطلعها « صنت نفسى عما يدنس نفسى » بقوله : وتوهمت أن كسرى ابرويز معاطى والبهلبذ أنسى .

(٣) المحاسن والاضداد : ص ٢٧٨

عنهم بهذه المهمة الثقيلة . وكانت طريقة باربد فى مثل هذه الأحوال أن ينظم أغنية جديدة يضمنها هذا الخبر ثم يلحنها ويغنيها أمام الملك . وكان الملك يفهم المقصود ولكنه لايغضب أو يحزن لأن جمال الصوت وحلاوة اللحن كانا يسيطران عليه فلا يدعان للغضب أو الحزن سبيلا إلى نفسه .

ويذكر المؤرخون أنه فى سنة ١٦هـ (١٣٧) م وقعت المدائن التى كانت مقر الملوك الساسانيين فى يد العرب . وكان من بين ماغنمه العرب مما وجدوه فى قصور الاكاسرة بساط نفيس جداً نسج أصلا لخسرو پرويز . يسميه العرب القطيف أو بساط الشتاء لأنهم عثروا عليه وقت الشتاء بينما يسميه الايرانيون « بهار كسرى » أى ربيع كسرى . وانما سموه كذلك لأن نقوشه كانت تمثل الربيع بكل مافيه من ورود وأشجار وأنهار . وكان هذا البساط لوحة فنية تحاكى الطبيعة وقت النوروز وما فيها من ضروب الحسن والجمال أصدق محاكاه .

وقد صنع كل مافيه من صور الأنهار والأزهار والأشجار وفق ألوانها الطبيعية بالأحجار الكريمة والمعادن النفيسة وكان كسرى برويز ومن بعده من الاكاسرة يفرشون هذا البساط فى احتفالاتهم التى تقام زمن الشتاء ليتصوروا أنهم فى احدى الرياض الغناء إبان النوروز . وقد تحير العرب فيما يفعلونه بهذا البساط وأمر عمر أن يقسم على المهاجرين والأنصار على السواء وخص عليا رضى الله عنه قطعة صغيرة منه فى مثل حجم الكف باعها بعشرين الف درهم .

وكان الملك إذا ارتقى العرش فى أى يوم من أيام السنة قبل ٢١ مارس الذى يوافق يوم النوروز اعتبر هذا اليوم الأخير بداية السنة الثانية من حكمه ، فاذا فرضنا أنه تولى الملك فى اليوم الأول من يناير فان ٢١ مارس الذى يتلوه يعتبر عندهم أول السنة الثانية من حكمه وقد حدث مثلا أن

الملك الساساني يزدجرد (١) ، ارتقى العرش في يوم ١٦ يونيو سنة ٦٣٢ م ولما جاء يوم ٢١ مارس التالي سنة ٦٣٣ م اعتبر هذا اليوم بداية السنة الثانية من سنوات حكمه (٢) .

واليوم السادس من النوروز (النوروز الكبير) منزلة عند الفرس . ففيه ، على حسب اعتقادهم ، توزع الحظوظ على الناس . ولهذا يكثرون فيه من الابتهال إلى الله والدعاء ولذا سمي هذا اليوم عندهم يوم الرجاء . ومما كانوا يتيمنون به في هذا اليوم أن يذوق المرء في صباحه السكر قبل الكلام ، وأن يتدهن بالزيت حتى يدفع عن نفسه ماقد يصيبه في سنته من البلايا (٣) .

والتهادي بالسكر عادة من عاداتهم في النوروز . ويقال في سبب هذا أنهم اكتشفوا السكر في ايران يوم نوروز على عهد الملك جمشيد الذي رأى هذا القصب أول مرة خلال أيام النوروز ولاحظ مايحتويه من عصير حلو ، فأمر أن يستخرجوا من القصب هذا العصير ويتخذوا منه السكر . ومن أجل هذا يتهادى الناس السكر في هذا العيد ويتبركون به .

ومن عادة الناس في هذا العيد على ما يروى البيروني (٤) ، أن يقصدوا الحياض والأنهار فيرش بعضهم بعضاً بالماء تطهرا مما علق بأجسامهم من الادران في العام المنقضي وتنظيفاً لأبدانهم من دخان النيران التي أوقدوها في ليله . وترجع عادة التراش بالماء عندهم إلى أيام الملك فيروز بن يزدجرد بن بهرام جور(٥) ، ففي أيامه شح المطر وجف الزرع وأجدبت الأرض وعمت المجاعة . وطال الأمر بالناس على هذه الحال من الجدب والجوع سبع سنين فخرجوا

---

(١) هو يزدجرد بن شهريار بن كسرى برويز آخر ملوك الدولة الساسانية .

(٢) Karaka : History of the Parsis p. 106 vol. 1

(٣) البيروني : الآثار الباقية : ص ٢١٧

(٤) البيروني : الآثار الباقية : ص ٢١٨

(٥) من ملوك الدولة الساسانية : (٤٥٩ – ٤٨٣) .

إلى الصحراء يبتهلون إلى الله ويضرعون اليه أن يغيثهم فلما دخل النوروز من السنة الثامنة تقبل الله دعاءهم وفتح عليهم أبواب السماء بماء منهمر فكانوا لفرحتهم بالمياه يصبونها على رؤوسهم ويتراشون بها . وبقيت هذه العادة عند الفرس يحيونها من ذلك الوقت كل عام (١) .

وعيد النوروز من أهم أعياد الزردشت ، يحتفلون به احتفالا عظيما اينما كانوا . ويسميه الزردشتيون المقيمون بالهند فى الوقت الحاضر Pateti وهو يوم أهورامزدا من شهر فروردين (٢) .

وهذه اللفظة مأخوذة من الكلمة الافستية (٣) Patita ومعناها يوم التوبة . وعلى هذا ففى هذا اليوم يصلى المرء ليغفر الله له ما اقترف من ذنوب طيلة العام المنقضى . وفى هذا اليوم يصحو الزردشتى مبكرا عن عادته كل يوم فيغتسل ويتطهر وكثيراً مايشترك فى الحفلات التى تقام للتطهر ويسمونها «نهانه» ويرتدى ملابسه الجديدة ويؤدى الصلوات ملتمسا الرحمة من أهورامزدا له ولأهله . وهو يبد أصلاته بتمجيد الله ثم يلتمس منه المغفرة لذنوبه التى اقترفها فى العام الماضى ، ثم يذهب إلى معبد النار مهديا اليه خشب الصندل . وهناك يعود إلى الصلاة ليستعيد حب الإله ورحمته . وإذا انتهت صلواته وزع الصدقات على الفقراء من رجال الدين والمحتاجين من الناس . ويقضى بقية اليوم بعد ذلك فى مرح وسرور

---

(١) شاهنامه : ص ٢٢٦٨ – ٦٩ ج ٨ ط بروخيم تهران .

(٢) لكل يوم من أيام الشهر اسم خاص عند الفرس . فاليوم الأول من الشهر يسمى أهورامزدا والأيام التى بعده تسمى بأسماء اتباعه وكذا اليوم السادس عشر يسمى باسم مهر والأيام التى بعده تسمى بأسماء أتباعه . ولكل يوم من هذه الأيام أعمال يستحب أداؤها فيه . ولم يكن الفرس قديماً يعرفون تقسيم الشهر إلى أسابيع . ولهذا جعلوا لكل يوم اسماً خاصاً . وعلى هذا فيوم أهورامزدا من شهر فروردين هو اليوم الأول من الشهر الأول من السنة الفارسية وهو يوم عيد النوروز .

(٣) الأفستية لغة إيالة من إيالات ايران . كانت تكتب بها المتون المقدسة لكتاب الزردشتيين الدينى الأفستا ومن هنا جاءت نسبتها . واستمرت كتابة النصوص الدينية بها فى عصر الأشكانيين والساسانيين .

مع بقية أفراد الأسرة . وفى هذا اليوم يتزاور الناس ويتبادلون التهانى بالسنة الجديدة (١) .

وعادة إيقاد النار من العادات التى يهتم بها الايرانيون ليلة النوروز ، فالنار عند الايرانى القديم من العناصر الموقرة (٢) ، وهى عنده تمثل النقاء والصفاء كما أن إيقاد النيران يبدد ، فى عرفهم ، ما فى الجو من وخم الشتاء .

النوروز فى العهود الاسلامية :

لما جاء الاسلام تغير الموقف فى صدر الاسلام بالنسبة للنوروز ولغيره من الأعياد الفارسية .

ولا شك فى أن الدولة الاسلامية على عهد النبى عليه الصلاة والسلام ، والخلفاء الراشدين كانت ترى أن الاحتفال بمثل هذه الاعياد يفتح مجالا تنفذ منه العادات والتقاليد المجوسية القديمة وتهيىء الفرصة أمام النزعات الوثنية للانتشار فى المجتمع الاسلامى الجديد ولهذا لم يكن لهذه الاعياد أى ذكر فى العهد الاسلامى الأول .

وعندما قدم النبى عليه الصلاة والسلام المدينة وجدهم لايزالون — كما كانوا فى الجاهلية — يحتفلون بيومين من أيام السنة تذكر بعض المصادر أنهما كانا يوم النوروز ويوم المهرجان (٣) ، فنهاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الاحتفال بهما ودعاهم إلى الاحتفال بعيد الفطر وعيد الأضحى لأنه خشى أن يكون فى الاحتفال بهذين العيدين الفارسيين إحياء وترويج لشعائر الجاهلية . ورمى من وراء دعوتهم إلى الاحتفال

---

(١) Karaka : History of the Parsis p. 144 vol . I

(٢) تعتبر الزردشتية ، دين الايرانيين القدماء ، الله مصدر الجلال والاشراق والضياء . والزردشتيون يتخذون من النار رمزاً للاله لما فيها من الاشراق والضياء ، ثم هى إلى جانب هذا طاهرة غير قابلة للفساد ومفيدة للانسان ولجميع ما فى الكون من الكائنات . ومن هنا وقرها الايرانيون الزردشتيون .

(٣) الألوسى : بلوغ الأرب جـ ١ ص ٣٦٤

بالعيدين الاسلاميين ، الفطر والأضحى إلى التنويه بشعائر الدين الجديد ، وليجعل من هذه الاحتفالات الاسلامية فرصة للذكر الله وعبادته وإظهار الطاعة له ، وليجمع لهم كذلك إلى متعة الاحتفال الدنيوية متعة العظة الروحية . ففى عيد الفطر يفرح المسلمون بما قدموه خلال شهر الصوم من ألوان الطاعة والعبادة ويحتفلون بانتهاء الصوم واستقبال الفطر احتفالا يجمع بين متعة الروح ومتعة البدن . وفى عيد الأضحى يتمثل المسلمون أيضا معانى الطاعة لله سبحانه ، والخضوع لمشيئته ، كما يتمثلون أيضا نعمة رضاء الله على من أطاعه من عباده حين يذكرون قصة ابراهيم عليه السلام يوم هم بذبح ولده اسماعيل وكيف أنعم الله عليهما بأن فداه بذبح عظيم . وإلى جانب هذه المعانى الدينية السامية التى يتمثلها المسلمون فى احتفالهم بعيد الاضحى ينعمون أيضا بما فى العيد من متع دنيوية . وهكذا ترى أن النبى عليه الصلاة والسلام لم يشأ أن تمضى احتفالاتهم فى ظل دينهم الجديد دون أن تجمع العظة الدينية إلى جانب البهجة الدنيوية ، وأراد أن يتخذوا من أيام بهجتهم ومرحهم فرصة للافادة من دينهم وتمكين أمره بينهم حتى لاينفصل دينهم عن دنياهم وليذكروا دينهم عندما يحتفلون بشئون دنياهم وليذكروا دنياهم عندما يقبلون على أمور دينهم .

ومر عهد صدر الاسلام ولم يكن لهذا العيد ولا لغيره من أعياد الفرس القديمة شأن عند العرب فى المجتمع الاسلامى . وعندما احتفل بعض الدهاقين فى خلافة على بن أبى طالب بهذا العيد وقدموا اليه هدية مما صنعوه من الحلوى لم يكن رضى الله عنه يعرف شيئا عن مناسبة هذه الهدية فلما سأل قيل له إنه يوم نوروز . فقال مازحا متفكها نوروزنا كل يوم (١) .

وفى عهد الدولة الأموية بدأ الخليفة معاوية يهتم بهذا العيد لبعض العوامل الاقتصادية المرتبطة به . فقد مر بنا أنه كان من عادة الفرس القدماء

---

(١) القاموس المحيط : مادة نرز

أن يقدموا الهدايا إلى ملوكهم فى هذه المناسبة (١) وكانت هذه الهدايا تمثل جانبا مهما من مصادر دخل الملوك . ويظهر أن معاوية أراد أن يفيد من هذا العيد كما كان يفيد منه ملوك الفرس القدماء . وتروى المصادر التاريخية أن ما كان يحمل اليه من هدايا النوروز والمهرجان بلغ عشرة آلاف درهم (٢) .

أما عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه فقد رفض أن يقبل من المسلمين هذه الهدايا وكان يكتفى فى خراج النوروز بجمع الخراج وحده ويرفض ماعدا ذلك من الهدايا . ولاشك فى أنه كره أن ينال من مال المسلمين شيئا قد يكرهون على أدائه أو يحرجون بسببه .

إلا أن الخلفاء قد عادوا فقبلوا هذه الهدايا . وكانت هدية حسان النبطى إلى هشام بن عبد الملك من الكثرة والضخامة حتى أن هشاما نفسه استكثرها لنفسه وأمر أن تضم لبيت المال . وكان حسان قد أهدى إلى هشام وإلى أمهات أولاده هدايا كثيرة من الكساء والجوهر والعطر . وقد ذكر الجاحظ أن هذه الهدية لم يسمع بمثلها فى الاسلام (٣) .

وفى عهد الدولة العباسية زاد اهتمام الدولة والشعب بهذه الاحتفالات . ولم يكن الاحتفال به قاصراً على الخلفاء وحدهم بل إن الناس أيضاً تسابقوا إلى الاحتفال به ، وأحيوا فيه ماكان معروفا عند الفرس القدماء من عادات كعادة ايقاد النيران وعادة التهادى .

فكان الخليفة العباسى مثلا يتبادل الهدايا مع الشعب فى عيد النوروز . وكان يفرق عليهم هدايا مختلفة من صور مصنوعة من عنبر أو ورد أحمر أو غير ذلك من الهدايا (٤) .

---

(١) راجع ص ٤ من هذا البحث .
(٢) اليعقوبى : جـ ٢ ص ٢٥٩
(٣) المحاسن والاضداد ص ٢٨٣
(٤) آدم متز : الحضارة الاسلامية : ص ٢١٤ جـ ٢ الترجمة العربية .

وكان الخليفة المتوكل يخرج فى احتفاله بالنوروز عن الحد الذى ينبغى لخليفة مثله أن يلزمه . فقد روى أنه كان يدعو اليه فى هذا اليوم أصحاب السماجات ويدنيهم من مجلسه ولا يتوقر معهم . وفى يوم نوروز دخل عليه إسحق فرآهم وقد جذبوا رداءه فعاد غاضباً ، ولاحظ المتوكل ذلك فأمر باستدعائه وسأله فى ذلك فقال له : « أتجلس فى مجلس يبتذلك فيه هؤلاء الكلاب حتى يجذبوا ذيلك ، وكل واحد منهم متنكر بصورة منكرة فما يؤمن أن يكون فيهم عدو فيثبت بك . فلئن كان يستقال هذا ولو أخليت الأرض منهم » فقال المتوكل : « ياأبا الحسين والله لا ترانى على مثلها أبدا » (١) .

ويذكر الطبرى فى حوادث سنة ٢٨٤ أن الخليفة المعتضد كان قد منع الناس فى أول الأمر من إيقاد النيران ليلة النوروز ، ومن صب الماء فى يومه ، وكلف المنادين ليعلنوا ذلك فى الأسواق ثم عاد ورجع عن رأيه وأطلق الحرية للناس فى صب الماء وإيقاد النيران ففعلت العامة من ذلك ماجاوز الحد وخرج على المألوف .

ولم يكن الاحتفال بعيد النوروز قاصراً على بغداد عاصمة العالم الاسلامى وحدها وإنما امتد إلى كل بقعة من بقاع العالم الاسلامى . ففى بخارى مثلا كان السامانيون (٢) يحيون هذا العيد مما عرفوه عن أسلافهم الفرس .

وفى سنة ٣٢٣ هـ احتفل مرداويج (٣) احتفالا عظيما بهذا العيد فأوقد

---

(١) آدم متز : الحضارة الاسلامية ص ٢١٤ جـ ٢

(٢) الدولة السامانية وهى من الدول الاسلامية الفارسية الأصل التى حكمت فى المشرق وكانت عاصمتها بخارى . (٢٦١ – ٣٨٩هـ / ٨٧٤ – ٩٩٩ م) .

(٣) مرداويج بن زيار مؤسس الدولة الزيارية فى طبرستان وجرجان . استولى أيضاً على اصفهان وهمذان . وكانت آماله كبيرة فى إحياء مجد الفرس وتحطيم الخلافة العباسية . وعندما ثار النزاع بينه وبين البويهيين رأى أن يتخلص منهم أولا ثم يتجه بعد ذلك إلى بغداد للاستيلاء عليها . ولكنه قتل فى اصفهان سنة ٣٢٣ هـ / ٩٣٤ م وهو يستعد لملاقاة آل بويه . استمرت دولته من ٣١٦ – ٤٣٤ هـ / ٩٢٨ – ١٠٤٢ م .

النيران ليلة النوروز على قمم الجبال وأطلق الطيور فى الجو وقد علق بأرجلها النفط وكان النفط يشتعل وهى تطير . وامتلأت السماء ليلتها بالنار المتطايرة فى كل مكان حتى بدد ضوء النيران ظلمة الليل . وفى يوم النوروز أقام وليمة ضخمة فى الصحراء . ويذكر ابن الاثير أن من جملة ماقدم فى تلك الوليمة مائتين من البقر مشوية صحاحا . وأما الغنم فبلغ ماشوى منها ثلاثة آلاف رأس . هذا عدا المطبوخ . وقد زاد عدد الدجاج وغيره من أنواع الطير التى قدمت فى تلك الوليمة على عشرة آلاف . أما ألوان الحلوى فقد جاوزت العد والحصر (١) .

وكان عبد الله بن طاهر (٢) ، يوزع ثيابه على الناس فى عيدى النوروز والمهرجان أسوة بما كان يفعله ملوك الفرس القدماء (٣) .

ويقدم لنا المافروخى الأصفهانى من علماء القرن الخامس للهجرة (٤) وصفا لعيد النوروز فى مدينة جى من نواحى أصفهان ، فيذكر أن أهالى أصفهان كانوا يخرجون كل سنة فى وقت النوروز إلى سوق تلك المدينة التى تسمى سوق جرين للتجارة واللهو واللعب لا فرق فى ذلك بين كبيرهم وصغيرهم حتى كانت تخص بجموعهم المدينة . وكان فناخسرو عضد الدولة(٥) ،

---

(١) ابن الأثير : حوادث سنة ٣٢٣

(٢) عبد الله بن طاهر ذى اليمينين قائد المأمون المشهور . من أصل فارسى ولاه المأمون على خراسان فى ٢٠٥ هـ/٨٢٠ م واستطاع بعد ذلك أن يستقل بحكم خراسان ويؤسس الدولة الطاهرية التى حكمت من ٢٠٥ هـ / ٢٥٩ هـ ، ٨٢٠ — ٨٧٢ م .

(٣) الثاج : ص ١٥٠

(٤) هو مفضل بن سعد بن الحسين المافروخى الاصفهانى ينتهى نسبه إلى مافروخ بن بختيار جده وكان من الموالى العجم . ومافروخ مركبة من ماه فرخ أى القمر المبارك . ألف المافروخى كتابه محاسن اصفهان بين سنوات خمس وستين وخمس وثمانين وأربعمائة . وهو من معاصرى ألب أرسلان وملكشاه من سلاطين السلاجقة . وقد ترجم الكتاب إلى الفارسية محمد بن عبد الرضا الحسينى العلوى فى حدود سنة ثلاثين وستمائة بأمر الوزير غياث الدين محمد بن الوزير رشيد الدين فضل الله مؤلف كتاب جامع التواريخ .

(٥) من أمراء البويهيين فى فارس ٣٣٨ — ٣٧٢ /٩٤٩م — ٩٨٢ م .

يعجب فى صغره بتلك السوق وما يجرى فيها من الوان اللهو والمرح . فلما تولى الملك واستولى على فارس أمر أن يتخلوا خارج شيراز سوقا على نمط سوق جرين عرفت باسم سوق الأمير . وقد جذبت هذه السوق أهل شيراز وما حولها من البلدان واجتمع فيها خلق كثير من أهل اللهو والمجون . وكان الناس يقدمون اليها للبيع واللهو . وكان الأمير لرغبته فى الاستمتاع بما يجرى فى تلك السوق قد اتخذ لنفسه قصرا يشرف عليها فكان يجلس فى قصره مع ندمائه يشربون ويطربون ويستمتعون بما يشاهدونه من أحوال الناس فى تلك السوق (١) .

أما البيهقى (٢) ، فيقدم لنا صورة أخرى من الاحتفالات التى كانت تقام فى العالم الاسلامى احتفالا بيوم النوروز عام ٤٣١ هـ ، فيقول عن السلطان مسعود الغزنى (٣) ، انه فى يوم الخميس الثامن عشر من شهر جمادى الآخرة احتفل بعيد النوروز . وكان الناس قد قدموا اليه كثيرا من الهدايا . واحتفى السلطان بهذا العيد احتفالا عظيما ، وتقدم اليه الشعراء بقصائد المديح . وكانت السعادة تبدو على محياه إذ مر عليه الشتاء هادئا لم تقع فيه حوادث تشغل قلبه . وأمر للمطربين وللناس بالصلات . وانتهز

---

(١) محاسن أصفهان ، ص ٩٢ ط طهران .

(٢) هو أبو الفضل محمد بن حسين البيهقى . ولد فى سنة ٣٨٥ هـ/٩٩٥ م فى قرية حارث آباد من نواحى بيهق ، قضى صدر حياته فى تحصيل العلم بمدينة نيسابور ثم اتجه إلى بلاط السلطان محمود الغزنى حيث اشتغل بالكتابة فى ديوان الرسائل . وكتابه فى التاريخ معروف باسم تاريخ بيهقى ويتحدث فيها أساساً عن سلطنة السلطان مسعود الغزنى ، ولهذا يقال للكتاب أيضاً تاريخ مسعودى . ومات فى سنة ٤٧٠ هـ / ١٠٧٧ م .

(٣) السلطان مسعود الغزنى بن السلطان محمود الغزنى وخليفته . كان من الملوك الأكفاء والمقاتلين الشجعان الا أنه انهزم أمام طغرل زعيم السلاجقة فى المعركة التى دارت بينهما فى دندانقان بين مرو وسرخس سنة ٤٣١ هـ / ١٠٣٩ م ، وكان من أثر هذه الهزيمة التى أصابت مسعوداً انتزع منه السلاجقة خراسان وجميع الأقاليم الغربية التابعة للدولة الغزنوية . وقضت هذه الهزيمة أمل جميع آمال مسعود بل وعليه نفسه إذ قتل بعد ذلك سنة ٤٣٣ هـ ١٠٤١ م .

الناس هذه الفرصة وتشفعوا للشاعر مسعود (١) ، فقبل شفاعتهم ووصله بثلاثمائة دينار نقدا والف دينار يتقاضاها كل شهر (٢).

ويذكر المقريزى أن المعز لدين الله منع الناس فى مصر سنة ثلاث وستين وثلاثمائة من وقود النيران ليلة النوروز ومن صب الماء فى يومه . والظاهر أن هذا المنع ضاعف من شوق الناس إلى هذا العبث لأنهم فى السنة التالية تمادوا فى ايقاد النيران وصب المياه وأتوا من السخافات ماجعل المعز يعود إلى تحذيرهم واستعمال الشدة معهم (٣) .

وكان للنوروز عند العامة فى مصر أمير يخرج فى هذا اليوم فى ملابس المهرجين بألوانها الفاقعة المتنافرة وقد طلى وجهه بالمساحيق والاصباغ وأحاط به جمع كبير من العوام . وكانوا يقطعون الطريق على المارة ويأخذون منهم الهبات فمن دفع لهم أخلوا سبيله ومن رفض ناله منهم مايكره من رش ملابسه بالماء القذر ، وافساد ثيابه والاستخفاف بقدره . وكانت الاسواق تعطل فى هذا اليوم إذ كان الناس ينطلقون على سجيتهم دون حياء أو قيود . وقلما انقضى هذا اليوم دون أن تقع حوادث يذهب ضحيتها بعض الناس .

---

(١) هو الشاعر مسعود سعد (٤٤٠ — ٥١٥ هـ) من مشاهير شعراء الفرس فى العصر الغزنى غضب عليه وسجن أكثر من مرة . وفى سنة ٥٠٠ أطلق سراحه من السجن للمرة الثانية بعد أن قضى فى السجن ثمانى عشرة سنة . وقد أخطأ البيهقى حين قرن اسم السلطان مسعود بن محمود الغزنى باسم الشاعر مسعود سعد لأنه بينما توفى السلطان مسعود بن محمود الغزنى سنة ٤٣٣ هـ . ولد الشاعر مسعود سعد حوالى سنة ٤٤٠ هـ . هذا بالاضافة إلى أن البيهقى يتحدث عن حوادث سنة ٤٣١ هـ أى قبل مولد الشاعر فكيف اذن يعفو السلطان مسعود فى سنة ٤٣١ هـ عن شاعر لم يكن قد ولد بعد ؟ انما تتفق حياة الشاعر مسعود سعد مع حياة السلطان مسعود الثالث المعروف بعلاء الدولة والذى حكم من سنة ٤٩٢ — ٥٠٨ هـ/١٠٩٩ — ١١٠٤ م ، فهذا التاريخ يتفق فى فترة منه مع حياة الشاعر (٤٤٠ — ٥١٥ هـ) .

(٢) تاريخ بيهقى : ص ٦١١ ط غنى وقياض ، تهران . والترجمة العربية للخشاب ونشأت ص ٦٧٣

(٣) المقريزى ، الخطط : ص ٢٩٧ ج ١ .

ويصف المقريزى ماكان يجرى بمصر فى هذه الاحتفالات خلال عيد النوروز فيذكر انهم فى سنة اثنتين وتسعين وخمسمائة استحدثوا عادة التراجم بالبيض والتصافع بالانطاع إلى جانب ماعرف من التراش بالماء .

فلما آل أمر الدولة فى مصر إلى الأمير برقوق (١) منع الناس من هذا العبث وهدد من خالف بالعقوبة فاضطر الناس إلى التزام الجادة فى القاهرة ، ومن أراد منهم أن يعبث خرج إلى البرك والمتنزهات . ولم تعد الاسواق تتعطل كما كان الأمر من قبل ، ولم تتوقف حركة البيع والشراء ، وأمن الناس على أنفسهم من الحوادث بعد أن كان يوم النوروز لايخلو من قتيل أو أكثر(٢) .

وفى ايران ظل الاحتفال بهذا العيد قائماً إلى أن شرع المغول يزحفون نحو ايران (٦١٨هـ/١٢٢١م) وقد قضى هؤلاء المغول على كل مظهر من مظاهر الحضارة . وعندما جاء العهد الصفوى (٣) ، وأصبح التشيع مذهب الدولة الرسمى بدأت الاحتفالات بإحياء الاعياد الفارسية القديمة .

---

(١) مؤسس دولة المماليك البرجية أو الشراكسة (٧٨٤ – ٨٠١ هـ/ ١٣٨٢ – ١٣٩٩ م)

(٢) الخطط : ص ٢٦٨ ج ١

(٣) تنسب الدولة الصفوية إلى الشيخ صفى الدين أحد علماء أردبيل وأتقيائها . ومن سلالة الشيخ صفى الدين ظهر اسماعيل الأول الذى يعتبر المؤسس الأول للدولة . واستطاع أن يقضى على أعدائه ويبسط رقعة دولته حتى امتدت من نهر جيحون الى الخليج الفارسى ومن أفغانستان حتى الفرات . واتخذ من تبريز عاصمة لدولته وجعل من التشيع مذهبا رسمياً لها . وكان التنافس بينه وبين جيرانه الأتراك العثمانيين ، واختلاف المذهب الذين بينهما سبباً للصراع الذى دار بينهما وانتهى بانتصار السلطان سليم فى موقعة جالدران . ولم تنقطع المناوشات بين الفريقين على الحدود التركية الإيرانية وظلت أقاليم جورجيا وأرمينيا تتنقل فى أيدى المتنازعين . ويعد الشاه عباس (٩٨٥ هـ ١٥٧٧ م) (١٠٣٨ – ١٦٢٩ م) أعظم ملوك هذه الدولة . ويمتاز عهده بالانتصارات الحربية على الأتراك وبازدهار الفنون والآداب وبزيادة المشروعات العامة وبالتسامح مع الأجانب . ويعد أنا ستر د شاه عباس من الأتراك الأراضى الايرانية التى استولوا عليها فيما سبق اختار اصفهان عاصمة لبلاده . ومات شاه عباس بعد أن حكم البلاد ٤٣ سنة ولم يستطع خلفاؤه أن يحفظوا المملكة التى خلفها لهم شاه عباس . وكانت نهاية الدولة الصفوية على يد الأفغان الذين ثاروا عليها وأخذوا يستولون على المدن المهمة كهراة ، ومشهد حتى سقطت فى أيديهم العاصمة أصفهان نفسها وقد حكمت الدولة الصفوية من ٩٠٧ – ١١٤٨ هـ/ ١٥٠٢ – ١٧٣٦ م .

وفى العدد الخامس من نشرة وزارة الخارجية الايرانية الصادر فى فروردين ١٣٣٦ مقال مفصل للسيد / حميد نيرنورى عن احتفال الدولة الصفوية والقاجارية بعيد النوروز .

وكانت مراسم الاحتفال بالنوروز تبدأ فى القصر الملكى قبل حلول السنة الجديدة ببضع ساعات . وقبل أن يبدأ الاحتفال يصل الملك إلى قصر السلطنة بأصفهان . ويحضر قبله عدد من نسائه المقربات غارقات فى الحلى والجواهر . فاذا وصل الشاه كن فى استقباله وجلسن معه إلى المائدة الكبيرة فى قاعة الاحتفال . ولا توضع على المائدة أطعمة كثيرة . كل ما هنالك أقداح كبيرة ملئت ماء ، وقدر من الفاكهة المختلفة والخضر والحلوى المصنوعة من العسل (سوهان عسلى). ويقضى الشاه بين نسائه وقتا لطيفاً فى الحديث والضحك ثم يأمر فيدخل المطربون الخصوصيون وراقصات الحريم إلى القاعة ويأخذن فى الرقص على غناء المغنين .

وفى نفس هذا الوقت يكون كبير المنجمين فى السلطنة مع عدد من رجاله ينتظرون حلول السنة الجديدة فى احدى الحجرات بفناء القصر وقد حملوا آلاتهم واستعدوا لتعيين لحظة بدء السنة الجديدة ، فاذا حلت هذه اللحظة كلفوا بعض حجاب الملك أن يحملوا له البشرى بحلول السنة الجديدة ، وعند ذاك يعم الخبر القصر كله فتنطلق الجوارى مزغردات وترتفع إلى عنان السماء الألعاب النارية إعلانا بحلول السنة الجديدة ، وتنطلق المدافع المنصوبة على اسوار مدينة اصفهان ، وتأخذ فرقة النقارة فى قرع طبولها فى ميدان المدينة ، وترتفع من كل ناحية فى المدينة الزغاريد وتفوح فى كل مكان رائحة البخور .

وفى اللحظة التى يعلن فيها بدء السنة الجديدة وتحول الشمس إلى برج الحمل يركز الشاه نظره على قدح الماء الكبير الذى وضع أمامه . ويفعل جميع الايرانيين هذا فى نفس اللحظة لانهم يعتقدون أن النظر إلى الماء لحظة بدء السنة يجلب السعادة وحسن الحظ فى السنة الجديدة (١) .

---

(١) لا يزال الايرانيون إلى اليوم يتفاءلون إذا سكب الماء عفوا على المائدة .

وكانت موائد العيد تمتد فى جميع بيوت الايرانيين مثقلة بألوان الخضر والفاكهة وأصناف الحلوى المختلفة . وكانت هذه الالوان من الخضر والفاكهة والحلوى مما تبدأ أسماؤها بحرف السين .

وبعد أن يدعو أفراد الأسرة الملكية ببعض الدعوات يشربون قليلا من ذلك الماء ويتناولون قليلا مما وضع على المائدة من الخضراوات والفواكه . ثم ترفع هذه المائدة لتمد بعدها مائدة أخرى حافلة بألوان الشراب وصنوف المأكولات الفاخرة . ويقوم المطربون والراقصات بدورهم فى نشر البهجة والمرح فى هذا المجلس .

وبعد أن تبدأ السنة ينتقل الملك من مجلسه هذا إلى القاعة الكبرى التى هيئت خاصة للتشريفات الخاصة بهذا العيد . ويؤذن لرجال الدولة عند ذاك فى القدوم لتحية الملك ويبدأ الصدر الأعظم مع الأمراء والأهل المقربين للملك فى الدخول وتقديم التحية . ثم يدخل رئيس الحرس الملكى (قورجى باشى) وكبير الياوران (ايشيك أغاسى) وسائر أصحاب المناصب الرفيعة فى الدولة للتشرف بتهنئة الملك . وفى تلك القاعة تمد مائدة كبيرة يجلس عليها أولئك الذين ينالون شرف الحضور فى هذا الوقت . وعلى رأس هذه المائدة يوضع الشراب والكباب أحيانا وفى بعض الأوقات يوضع الشربات . ويشرب الحاضرون نخب الملك . وبعد هذا يقدم رئيس الخزانة الملكية (صندوقدار باشى) إلى الملك صحنا عليه أكياس ملونه مقفله ، ويرفع الملك من الصحن هذه الأكياس التى تحتوى على نقود فضية أو ذهبية سكت حديثاً ليقسمها بين الحاضرين . وعندما يتلقى الحاضرون هذه العيدية من الملك يُقبلونها ثم يدسونها فى جيوبهم . وبعد تفريق هذه العيدية على الحاضرين تعرض على الملك فى وجودهم الهدايا التى قدمت له فى العيد من رئيس الوزراء (صدر أعظم) ومن العظماء ومن جميع طبقات الناس . وهذه الهدايا تكون فى الغالب من المال أو من الحيوان كالخيل . فاذا كان من بين هذه الهدايا جوار فإنهم يدخلونهن من باب فيمرون فى صف أمام الحاضرين ويخرجن من باب آخر من أبواب القاعة . و الجوارى اللاتى يلقن بمقام

الملك يسلمن لكبير الخصيان (خواجه باشى) الذى يسير بهن إلى الحرم . وأما غيرهن فكان الملك يبهن لحضار مجلسه . وبعد أن ينتهى الحاضرون من مشاهدة الهدايا تسلم إلى رئيس الخزانة للاحتفاظ بها . وعند ذلك يعلو صوت الحاضرين بحمد الله الذى عمت بركته ونعمته .

وفى نفس هذا الوقت يأمر الشاه بذبح الماشية والأغنام فى الميدان المواجه للقصر الملكى وتوزيع لحومها على الفقراء والمحتاجين .

وفى هذا اليوم كان الناس يرتدون ملابسهم الجديدة ويتزاورون فى الصباح ويخرجون للنزهة فى المساء جماعات جماعات . ويعزف من يجيد منهم العزف على آلات الموسيقى التى يحملونها معهم . وهكذا تتردد فى جنبات الطرق فى ذلك اليوم الألحان الجميلة والأغانى العذبة وتبدوا المدينة كلها فى مرح وبهجة .

وفى اليوم التالى ، إذا كان الجو مناسباً والهواء جميلا ، يخرج الملك مع عدد من نسائه إلى الصيد . وكان متصيد الملك يمتد امتداد واسعاً على أطراف الغابات . وهناك يواصل احتفالاته بعيد النوروز .

ومن الهدايا التى تقدم للملك فى عيد النوروز نذكر الهدايا التى قدمها خان شيروان وفق الرسوم التى كان يعمل بها فى البلاط . وكانت هداياه فى احدى السنين قد فاقت ماجرت به العادة لأن خان شيروان كان مغضوبا عليه من أخيه الشاه بتهمة الخيانة فاراد أن يسترضيه بتلك الهدايا وكانت الهدايا فى تلك السنة تتألف من خيل مطهمة ، وابل محملة بأكياس الذهب والفضة ، وعلاوة على هذا ضمت الهدية مجموعة من الغلمان والجوارى الكرجيات الجميلات اللآتى اشتراهن الخان (خان شيروان) بعد بحث وتنقيب طويل فى مدينة شيروان . وقد خرجت قافلة الهدايا هذه من بوابة

المدينة مع التشريفات الزائدة وقام الخان بنفسه ، إعلانا لاحترامه وولائه للشاه ، بمصاحبة القافلة مسافة طويلة خارج مدينة شيروان .

وكان من عادة « فتحعليشاه » (١) . أن يخرج من المدينة فى عيد النوروز ويخرج فى ركابه الوزراء والاعيان والجند . وكان سرادق الملك الذى يوضع فيه عرشه يقام فى متسع من الأرض . وفيه تقدم اليه هدايا حكام البلاد والولايات . وكانوا يمضون أياما فى قصف ولهو . ومن جملة مظاهر اللهو والبهجة فى تلك الأيام سباق الخيل . وكانت خيل الملك هى الفائزة فى هذا السباق بطبيعة الحال . وكثيراً ماكان يمتد الاحتفال بهذا العيد أسبوعا ولكن المهم هو اليوم الأول . وفى هذا اليوم الأول يلبس الناس الملابس الجديدة ويتبادلون التهانى بالعيد ويتزاورون فى البيوت حيث تقدم لهم الحلوى التى صنعت خصيصا لهذا العيد .

وكان الايرانيون أيام الصفويين يعتبرون يوم « چهار شنبه سورى » من أشد أيام السنة نحساً ولهذا فهم يحاولون فى هذا اليوم الا يزاولوا عملا من الأعمال فهم يغلقون متاجرهم ولا يشغلون بقدر الامكان فى أى شأن من

---

(١) ثانى ملوك الأسرة القاجارية تولى الملك سنة ١٢١١هـ / ١٧٩٧م . وفى عهده ثارت المنازعات والحروب بين الايرانيين والروس مما فتح المجال لازدياد النفوذ الأوربى الانجليزى والفرنسى فى ايران بدعوى مساعدة الشاه فتحعليشاه ضد اعدائه الروس . وانتهى النزاع الايرانى الروسى بمعاهدة الصلح التى عقدت فى ٢٣ فبراير سنة ١٨٢٨ م وعرفت باسم تركمان چاى . وقد تخلى الايرانيون بموجب هذه المعاهدة عن بعض أراضيهم كما دفعوا غرامة للروس قدرها ثمانية ملايين روبل .

كذلك ثارت الحروب بين الايرانيين والعثمانيين فى أيام فتحعليشاه . وانتصر الايرانيون فى وقائع عديدة إلى أن عقدت بين الطرفين معاهدة الصلح المعروفة باسم معاهدة أرضروم فى ١٩ من ذى القعدة سنة ١٢٣٨ هـ /١٨٢٢ م .

وكان ولى العهد عباس ميرزا هو الساعد الأيمن لأبيه فى كل تنوحاته وقائد جيوشه فى أغلب وقائعه . وكانت وفاته سنة ١٢٤٨ هـ/١٨٣٢ م صدمة كبرى على أبيه فتحعليشاه عجلت بنهايته فتوفى بعده بسنتين فى ١٢٥٠ هـ/١٨٣٤ م .

شئون المال . وبعضهم يذهب إلى النهر فيحمل معه من مائه ليرش أثاث البيت ليعيش فى أمان خلال السنة القادمة . وكانوا يتراشون بالماء لأنهم يعتقدون أن الانسان إذا ابتل تماما فى هذا اليوم عاش فى سعادة بقية العام .

وفى أيام « محمد شاه » (١) ، كان الناس يفدون إلى القصر للتحية والتهنئة بهذا العيد وكان الملك يأذن لهم إذنا عاما فيتدافعون ليشاهدوا الملك ، وكان القواد ورجال البلاط وحكام الولايات ، ليثبتوا اخلاصهم للملك ، يقدمون له أنفس الهدايا مما يمتلكون من الخيل والشيلان الكشميرية والملابس الثمينة وكل مايليق بمقام الملك . وفى هذا الاحتفال كان أقرب الناس إلى الملك الأمراء ثم كبار رجال المملكة ثم كبار الضباط ورجال البلاط . وموظفو الدولة والشعراء . وفى النهاية يأتى ممثلو العمال . ويبرز الملك على الناس متحليا بالجواهر الكريمة من الياقوت والماس واللؤلؤ وغيرها وتنحنى الهامات بمجرد ظهور الملك وتنثنى القامات للتحية أكثر من مرة ويتردد فى القاعة تحية الناس : السلام عليكم ... السلام عليكم ... وفى كل هذه الاثناء يبقى الملك صامتا ساكتاً ، فاذا انتهت مراسم التحية والتعظيمات تقدم الشعراء لانشاد الأشعار . وكان الناس يبالغون فى مدح الملك ويستخدمون من الاستعارات والأوصاف مايفوق التصور . وفى خلال هذا يصيحون من حين الى حين : عاش الملك ... عاش الملك .

وبعد أن يفرغ الشعراء من مدائحهم يتقدم رئيس الوزراء (صدر أعظم) فيحدث الملك عن حالة البلاد فى السنة التى انقضت حديثا قائما على المبالغة . وفى هذا الحديث يصور رئيس الوزراء للملك الحالة فى البلاد بصورة لايعتريها عيب ولا يشوبها أى نقص . ويتلخص حديث رئيس الوزراء

---

(١) هو محمد ميرزا بن عباس ميرزا بن فتحعليشاه . تولى الملك فى ١٢٥٠ هـ / ١٨٣٤ م بعد وفاة جده فتحعليشاه اذ كان أبوه عباس ميرزا قد توفى قبل ذلك فى حياة الجد كما مر فيما سبق . وعندما استتب له الأمر لقب « محمد شاه » . ومن أشهر الحوادث فى عهده ظهور الباب سنة ١٢٦٠ هـ / ١٨٤٤ م ، وانتشار البابية فى المجتمع وقد اعدم الباب بعد ذلك فى تبريز . وتوفى محمد شاه سنة ١٢٦٤ هـ/١٨٤٨ م .

فى أنه لم يكن فى الامكان أبدع مما كان . وفى نهاية الاحتفال ينثر الملك النقود على الموجودين وينعم على بعضهم انعامات مختلفة . وفى الليل تزدان الشوارع والبيوت بالمصابيح . ويتجمع المصارعون وأصحاب الألعاب المختلفة ليعرضوا ألعابهم فى ميدان القصر . وكان الملك يطل عليهم من شرفته من حين إلى حين وينثر بين الناس مبالغ من المال .

وفى عهد ناصر الدين شاه القاجارى (١) ، زادت الاحتفالات بهذا العيد أهمية وعظمة فكانت تقام ثلاثة احتفالات : الأول يعرف باحتفال التحويل . والثانى يعرف بالاحتفال العام والثالث يسمى احتفال سردر .

احتفال التحويل (سلام تحويل) : كانت الدعوات لحضور هذا الاحتفال يرسلها رئيس تشريفات البلاط إلى من لهم حق الحضور قبل الموعد بيوم واحد . وكان على المدعوين أن يحضروا قبل الموعد المحدد بساعة كاملة . وكان هذا الاحتفال يجرى فى القاعة الرسمية للاحتفالات (قاعة المتحف حاليا) . وكانت مائدة « هفت سين » الكبرى تمد فى هذه القاعة . وكانت هذه المائدة من الطول بحيث تصل جانبي القاعة وتبلغ عرش الملك المرصع فى صدر القاعة . وكان يشترك فى احتفال التحويل هذا خواص الدولة ورجال البلاط والأمراء والمستوفون ورؤساء القبائل القاجارية كما كان يشترك فيه أيضا علماء طهران الكبار . وكان يقف على أحد جانبي المائدة رؤساء الجيش فى ملابسهم المجللة وعلى رأسهم نائب السلطنة .

---

(١) ناصر الدين شاه بن محمد شاه تولى الملك بعد أبيه فى ١٢٦٤ هـ / ١٨٤٨ م فى حوالى الثامنة عشرة . وطالت مدة حكمه حتى قاربت ثمانيا وأربعين سنة . وكان واسع العلم والثقافة وقد أجاد إلى جانب اللغة الفارسية اللغة العربية والفرنسية وزار أوروبا أكثر من مرة . وله مذكرات سجل فيها مشاهداته فى تلك الزيارات . وقد حتى بارسال البعوث العلمية إلى فرنسا كما استقدم العلماء الفرنسيين لنشر الثقافة وترجمة روائع المؤلفات إلى اللغة الفارسية واصلاحاته الداخلية شملت كل ميدان كالتعليم بمختلف أنواعه ، والعمران بانشاء الطرق وتيسير المواصلات وتنظيم شئون البرق والبريد ، وبدأ فى تكوين أسطول بحرى وانشاء مصانع الذخيرة . وقد قتل هذا الملك فى أول مايو سنة ١٨٩٦ م .

وفى الجانب الآخر يصطف المستوفون فى ملابسهم التى كانت تتكون عادة من الشال والعمامة والجبة القصبة والحذاء الطويل . وعلى رأسهم يتخذ مستوفى الممالك مكانه (١) .

وعلى طرفى العرش يصطف الأمراء القاجاريون وفى يد كل منهم نفائس الأسرة المالكة من سيف أو درع أو عمود رصع كل منها بأغلى الجواهر . وبالقرب من عرش الطاووس رئيس الوزراء فى جبته وعصاه ويقف الوزراء والأعيان بعده . أما العلماء والروحانيون فيقف كل منهم على جانب العرش وفق مكانته . ويتخذ كبير المنجمين مع اسطرلابه وآلاته مكانا مواجها للعرش . وبالقرب منه يقف خطيب الممالك . فاذا بقى على موعد التحويل (بدء السنة) ربع ساعة رفع الستارة الحاجب الموكل بها وأعلن فى صوت جهورى قدوم الملك إلى القاعة . وعند ذاك يسود الصمت ويؤدى كل واحد من الحاضرين مراسم الاحترام ويتقدم الملك إلى العرش وهو غارق فى الجواهر والأوسمة الملكية ثم يستقر على حافة العرش فوق وسادة نسجت من الذهب واللؤلؤ . وعند ذلك يخطب خطيب الممالك خطبة فى نعت النبى عليه الصلاة والسلام وعلى رضى الله عنه . وفى نهاية السنة يعلن بصوت جهورى رئيس المنجمين الذى لم تفارق عينه عقارب الساعة تحول الشمس إلى برج الحمل . ويرتفع عند ذلك النفير عالياً ويصل إلى أسماع رجال المدفعية الذين يطلقون مدافعهم ايذانا بالتحويل .

وعقب اعلان التحويل يهنىء رجال الدين أولا الملك ناصر الدين شاه ثم يهنئه بقية الحاضرين . ويتلى بعض القرآن الكريم تيمنا وتبركا . ثم يشرب الملك ماء خلطوه من قبل بتراب قبر الحسين ويوزع على الحاضرين العيدية أكياسا حمراء من النقود . وفى هذه الأكياس قطع قليلة من النقود الفضية والذهب تقدم لهم باعتبارها عيدية رمزية . وكان يبدأ بالعلماء فى توزيع هذه العيدية . وإذا خرج العلماء والروحانيون أخذت الموسيقى فى العزف (٢) .

---

(١) المستوفى فى الوقت الحاضر أشبه بالمحافظ .

(٢) يتأخر عزف الموسيقى بعد خروج العلماء ورجال الدين توقيراً لهم .

وفى هذا الوقت يقدم الملك العيدية لبقية الموجودين وكانت هذه العيدية تختلف باختلاف مرتبة الحاضرين ويستمر هذا المجلس أربع ساعات ثم يتجه الملك بعد ذلك من قاعة العرش إلى الجزء الخاص من القصر فى الداخل.

الاحتفال العام : وبعد يوم من اعلان التحويل يقام الاحتفال العام فى عرش المرمر . وفى هذا اليوم بعد أن يعود الملك من الحريم يجلس فى حجرة صغيرة بجانب القاعة الماسية . ويعلن رئيس التشريفات حضور السفراء الأجانب إلى القاعة للتشرف بمقابلة الملك . وعندما يدخل الملك يواجه السفير العثمانى ويسأله عن أحوال السلطان وعن حاله أيضا . ثم يحيى السفراء واحدا واحدا ويقدم لهم العيدية التى يتقبلونها بنهاية الأدب . وفى هذا اليوم من أيام الاحتفال كان الأمراء يحملون نفائس السلطنة . وكان مستوفى الممالك يقف على الجانب الأيسر من العرش ومن ورائه يصطف سائر المستوفين . وعلى يمين العرش يقف نائب السلطنة ووزير الحرب وقادة الجيش بترتيب درجاتهم .

وعندما يستقر الجميع فى أماكنهم يعلن كبير الياوران دخول الملك . ويدخل الملك من باب الديوان يحف به الجلال والعظمة ويجلس على الكرسى المرصع الذى وضع على سطح هذا التخت المرمرى . ويعلن كبير الياوران بداية الاحتفال فيعزف الموسيقى وتنطلق أصوات المدفع وطبول النقارة . وعندما تنتهى الموسيقى يتقدم شمس الشعراء لينشد قصيدة فى التهنئة بالنوروز ومدح الملك ويعقبه خطيب الممالك بخطبة فى هذه المعانى . وبعد ذلك تنتهى مراسم الاحتفال .

احتفال سردر : والغرض من هذا الاحتفال هو الفرح والبهجة وكان يسمح للجمهور بحضور هذا الاحتفال الذى يقام فى الميدان الذى يقع فيه باب «سردر» الباب الرئيسى للقصر وفى هذا الاحتفال لايحضر المستوفون ورجال الجيش . ويقتصر حضوره على الملك مع عدد من خواصه ونسائه . وفى هذا اليوم كانوا يحضرون مصارعى الكباش والمهرجين والمغنيين

وأصحاب القرود (القرداتية) ، ولاعبي السرك (بندباز) الذين كانوا يعلنون أنفسهم طول العام ليعرضوا ألعابهم البهلوانية فى هذا اليوم أمام الملك . وكانوا يتجمعون فى الميدان المقابل لباب (سردر) ويعرضون ألعابهم وينالون العطايا . ومن المهرجين الذين عرفوا فى البلاط كريم شيره أى واسماعيل بزاز ، وكان هؤلاء المهرجون يضحكون الملك والناس . وبعد ذلك كانت تجرى مصارعة الكباش والديوك . وكان الناس يتراهنون على الفائز فى هذه المباريات من من الكباش والديوك كما يتراهنون اليوم فى سباق الخيل . ويعرض لاعبو السرك العابهم الأكروباتية . ومن العادات الأخرى فى هذا اليوم انتخاب مصارع الملك . وكانت المصارعات تجرى فى حضرة الملك ويعطى الفائز شارة خاصة يضعها على عضده (بازوبند) (١) ، وصك البطولة (مهر بهلوانى) .

ولايزال أغلب هذه العادات مما يعمل به فى الوقت الحاضر وإن كان قد نالها بعض التغيير الذى يتناسب مع تطور الزمن .

وفى الوقت الحاضر تعطل الدوائر الحكومية رسمياً خمسة أيام وإن كانت الاحتفالات الشعبية بهذا العيد تمتد إلى اليوم الثالث عشر . وفى اليوم الأول من شهر فروردين يحضر جميع الأمراء والوزراء والسفراء ورجال الدولة والدين ورؤساء النقابات والضباط الكبار منذ الثامنة صباحاً ليقدموا تهانئهم للملك بالعيد السعيد فى قاعة المتحف (تالار موزه) بقصر كلستان .

وفى وقتنا الحاضر يبدأ الاستعداد لعيد النوروز من ليلة الأربعاء السابق على العيد وتنتهى الاحتفالات فى اليوم الثالث عشر .

وتبدأ هذه الاحتفالات فى ليلة الأربعاء السابق على العيد باقامة وليمة تعرف عندهم باسم «جهار شنبه سورى» . وقد ترك الايرانيون فى الوقت الحاضر عادة رش الماء كما تركوا عادة ايقاد النيران ليلة النوروز

---

(١) يربط الملك على عضد المصارع الأيمن هذا القيد من الذهب (بازوبند) مكافأة له .

اكتفاء بايقادها ليلة الاربعاء الأخير قبل العيد . ويقفز أهل البيت فوق هذه النيران وهم يهللون فرحين لاعتقادهم أن هذه النيران تزيل السقم وتذهب العلل وتكسب البشرة اللون الأحمر وهم فى خلال هذا يخاطبون النار ويطلبون منها أن تعطيهم حمرتها وتأخذ صفرتهم .

ولايزال أهالى بعض نواحى كردستان يتبعون إلى اليوم العادة القديمة باشعال النار ليلة عيد النوروز .

وفى ليلة العيد يقف الناس على رأس الطرق ويتفاءلون بأول مايسمعونه من عابرى الطريق . وللفتيات اهتمام شديد بهذه العادة ، عادة التسمع لمعرفة الفأل (فال كوش) . وطريقتهن فى هذا أن يتخفين وراء باب المنزل عقب الغروب ويرهفن اسماعهن لما يقوله أول عابر فى الطريق .

وتقوم الأسرة الايرانية بجملة استعدادات لاستقبال عيد النوروز ، فهى أولا تبدأ بتنظيف البيت والأثاث وتهيئته على أحسن وجه .

وتهتم الأسرة الايرانية اهتماما شديداً بصنع الحلوى لهذا العيد ، وتتفنن محال الحلوى فى صناعتها وعرضها . وتزدحم هذه المحال ازدحاما شديداً كلما اقترب موعد النوروز . وتشتهر كل مدينة من مدن ايران بنوع معين من الحلوى . ومن أشهر المدن الايرانية التى عرفت بصناعة الحلوى مدينة يزد واصفهان وكرمانشاه . وحدثنى صديقى الأستاذ محمد غفرانى أنهم فى مدن خراسان وقراها يصنعون فى النوروز نوعاً من الحلوى يسمى «كلوجه نوروزى» وهو يشبه كعك عيد الفطر عند المصريين ويصنع من العجين والسكر ويسوى فى الفرن .

وقبل حلول النوروز بخمسة عشر يوماً تهتم الأسرة بإنبات العدس أو القمح أو الشعير (١) وترش ربة البيت هذه الحبوب بالماء وتضعها

(١) راجع هذه العادة عند الايرانيين القدماء ص ٧ من البحث .

فى صحن أو صينية وتعرضها لحرارة الشمس حتى تنبت . وتحتل أوعية هذه النباتات مكانا هاما فى مائدة « هفت سين » التى سيرد الحديث عنها .

وتكتمل بهجة هذا العيد بما يشتريه رب الأسرة لأفرادها من الملابس . ويتعلق الأطفال بهذه الملابس تعلقاً شديداً . وإذا لم تقدم لهم فقد العيد بهجته فى نظرهم وأخذوا يرددون فى مثل هذه الحالة :

عيد آمد وما قبا نداريم

باكهنه قبا صفا نداريم

أى أن العيد أقبل وليس لدينا ملبس جديد فكيف نبتهج بالعيد فى هذا الرداء القديم . وكذلك ينال أفراد الأسرة عيديتهم فى هذه المناسبة . وكانت هذه العيدية تقدم فيما مضى فى صورة نقود من ذهب أو فضة سكت فى نفس العام (١) ، واليوم تستخدم أوراق البنكنوت الجديدة التى يصدرها البنك فى هذه المناسبة . وهناك بعض الناس يقدمون لأطفالهم بدل العيدية الهدايا واللعب والعرائس .

وقد جد بين الايرانيين فى الوقت الحاضر عادة ارسال بطاقات التهنئة ، وأخذ هذا التقليد ينتشر فى جميع طبقات المجتمع الايرانى .

أما مائدة «هفت سين» أو السينات السبعة التى أشرنا اليها فيما سبق فهى تقليد رئيسى من تقاليد هذا العيد . وتتضمن هذه المائدة ألوانا من الأطعمة تبدأ أسماء سبعة منها بحرف السين . ويوضع على المائدة عدد من الشموع بعدد أطفال الأسرة . ويجب أن تكون هذه الشموع مضيئة ساعة التحويل . ويجب عند حلول التحويل وبدء السنة الجديدة أن يفتح المجلس بتلاوة سبع من آى القرآن المجيد . ويستحسن بعض الناس أن يقبض فى يده

---

(١) راجع ص ٥ من البحث .

ساعة التحويل على قدر من الأرز أو الشعير أو الذهب أو الفضة مردداً الدعاء المعروف « يامقلب القلوب والابصار ... »

ومما يراعى فى مائدة « هفت سين » أن يكون فيها بعض أنواع الورود والبيض الملون . وتقوم الأم بسلق البيض وتلوينه وتقدم منه بقدر عدد أولادها .

وعادة تلوين البيض فى مائده «هفت سين» عادة قديمة معروفة عند الايرانيين . وكان الناس أيام الأسرة الصفوية يتهادون البيض الملون . وكان الملك يبعث إلى حريمه بهذا البيض . وكانوا يتخذون من قشرة البيضة ميدانا لفن النقش والزخرفة وصناعة المنمنمات . وقد عرف عن الإيرانيين منذ القدم أنهم كانوا يتهادون بالبيض لاعتقادهم أن البيضة منشأ كل الموجودات .

وعلاوة على البيض كانت هناك الحلوى على المائدة . وكان من عادتهم أن يضعوا أناء مملوءا بالماء أسقطت فيه بعض أنواع النارنج الخضراء وبعض ماء الورد وسمكة حية أو ميتة . وكانوا يفعلون هذا على أمل أن تظل مائدة هذه الأسرة ممدودة طول العام عامرة بما لذ وطاب من أنواع الطعام . ومن صنوف الطعام التى انتقلت إلى الايرانيين من الزمن القديم أن يكون على المائدة الحليب أو الجبن الطازج .

ومما تحفل به مائدتهم فى الليلة الأولى للسنة الجديدة طبق الأرز بالشعرية . وفى الليلة الأولى والثانية يتخذ طبق الأرز المخلوط بالسمك والخضروات (سبزى پلوماهى) مكانه على الموائد لأن السمك فى عرفهم أصل من أصول الخير والبركة .

وفى الأيام الأولى من العيد يأكلون من اللحوم السمك ولحم الطير .

ولاينبغى أن ينطفىء شمع المائدة بل يجب أن تظل الشمعات متقدة حتى تحترق عن آخرها .

ويعتقد بعض الايرانيين أنه إذا تصادف حلول يوم السبت فى فترة عيد النوروز كانت السنة خيراً وبركة على الجميع . وإذا مر عام بخير على الايرانيين قالوا أن السبت وقع فى أيام النوروز .

وفى نهاية التحويل تنطلق المدافع ويزف الراديو البشرى للجميع . ويتبادل أفراد الأسرة التهانى فيما بينهم ويقبل الكبار منهم الصغار الذين يترددون فى هذه اللحظة للكبار بتقبيل الأيدى تمهيداً لطلب العيدية . ومن عادتهم فى هذا المقام أن يذيبوا قدراً من تراب قبر الحسين فى بعض الماء ويرشفون منه رشفة تيمنا وتبركا . ثم توزع الحلوى على أفراد الأسرة وتعم الفرحة الجميع .

أما اليوم الثالث عشر من أيام العيد المعروف عندهم باسم (سيزده بدر) فيعتبرونه يوم نحس . والواجب فى رأيهم أن يخرجوا فى هذا اليوم إلى الصحارى وضفاف الأنهار والمروج ليقضوا اليوم خارج البيت فى لهو وحبور . ومن الشرأن يلزم المرء بيته فى هذا اليوم . وفى اعتقادهم أن كل طفل يولد فى هذا اليوم يلازمه فى حياته سوء الحظ وأن كل امرأة يعقد عقدها فى هذا اليوم لاتسعد فى حياتها الزوجية (١) .

ولايبدى أهل السنة من الايرانيين فى الوقت الحاضر اهتماماً بالغاً بعيد النوروز على عكس الشيعة الذين لايكتفون باعتباره عيداً قومياً بل يحاولون أن يصبغوه بالصبغة الدينية ويروون احاديث فى هذا الصدد عن جعفر بن محمد الصادق وغيره من أئمة الشيعة .

---

(١) ذكر لى الأستاذ محمد غفرانى أغنية شعبية ترددها الفتيات عندما ينتهى اليوم الثالث من النوروز . تقول الأغنية :

سيزده بدر جهارده بنـــو هاكه كنو هاكه كنو
سال دكر خانه شوهه بفـــل هاكه كنو هاكه كنو

ومعناها أن اليوم الثالث عشر قد انقضى وأقبل الرابع عشر وفى العام القادم أحتضن طفلى فى بيت زوجى .

النوروز والتوقيت :

كانت المحاصيل تنضج فى بلاد الفرس والنوروز ، ولهذا كان من عادة ملوكهم القدماء أن يجمعوا الخراج فى يوم النوروز . وكانت السنة عندهم ٣٦٥ يوماً . وكان كل شهر ثلاثين يوماً . وتبدأ شهورها بشهر فروردين وتنتهى بشهر سپندارمذ . وفى نهاية كل ٣٦٠ يوما كانوا يضيفون خمسة أيام يسمونها الخمسة المسترقة فيصبح بذلك عدد أيام السنة ٣٦٥ يوماً . هذا التوقيت يقل عن السنة الشمسية الواقعية بما يقرب من ست ساعات . وكانوا يعالجون هذا الأمر بكبس السنة شهراً كاملا فى كل مائة وعشرين سنة (١) . وكان من الممكن أن يضيفوا يوماً واحداً كل أربع سنوات كما يفعل الأوربيون فى تقويمهم ولكنهم لم يفعلوا ذلك لأن اضافة يوم كل أربع سنوات يخل بترتيب أيام الشهر ومواقعها لأنهم — كما ذكرنا فيما سبق — لم يعرفوا تقسيم الشهر إلى أسابيع . ولهذا كانوا يسمون كل يوم من أيام الشهر باسم خاص لايتكرر فى الشهر الواحد . وتوجه الديانة الزردشتية اتباعها إلى الأعمال التى ينبغى أن يؤدوها فى كل يوم من هذه الأيام (٢) . فاذا أضيف يوم إلى السنة كل أربع سنوات

---

(١) ست ساعات فى كل سنة إذا ضربت فى مائة وعشرين بلغت ثلاثين يوماً .

(٢) اليوم الأول من الشهر هو يوم «أهورامزدا» وأنسب ما يؤديه فيه المرء عبادة الخالق ودراسة الدين ومزاولة الأعمال التى لها صلة بالدين كالزواج ، وفعل الخير ، ويحسن فى هذا اليوم الانتقال إلى المساكن الجديدة ، أو انشاء البساتين ، والاحتفال بالمناسبات السعيدة .

واليوم الثانى من الشهر وهو «بهمن» أنسب الأيام لبحث المسائل المهمة وعقد مجالس الملوك ومشاورة القواد والحكماء .

واليوم الثالث من الشهر هو (اردى بهشت) وفيه ينبغى توثيق صلات المودة مع الناس وعقد الصلح ، وتحضير العقاقير وتناولها ، ومسالمة السادة والحكام والملوك .

واليوم الرابع (شهر ير) أنسب يوم عند الملوك إذا أرادوا تعيين كبار الموظفين والرؤساء والوزراء وغيرهم . وهذه التعيينات يصاحبها التوفيق إذا تمت فى هذا اليوم . والاحسان إلى الناس واجب فى هذا اليوم .

واليوم الخامس «سپندارمذ» تحسن فيه خطبة النساء والدخول بهن ، وسكنى المنازل الجديدة والقيام بالمشروعات الزراعية .

اثار أمامهم مشاكل ، أين يضعونه فى الشهر ؟ وبماذا يسمونه ؟ وأى عمل من الأعمال يحسن أن يؤدوه فيه ؟ ولهذا كانوا يؤجلون الكبس حتى

واليوم السادس « خورداد » يناسب كل عمل من شأنه اصلاح الجسد أو تزيينه . ويحسن فى هذا اليوم بناء الفانوراك أو حفر الآبار وتمهيد الطرق ، وجمع المحصولات . وتظهر بركة هذا اليوم فى كل عمل يراد به مساعدة ذوى القربى .

اليوم السابع : « امرداد » وهو آخر أيام الأسبوع الأول . ويتخذ راحة البدن والروح .

اليوم الثامن : « ديادار » وفيه يجب على الناس أن يتفقهوا فى شئون دينهم ، وأن يوزعوا الهبات .

اليوم التاسع : « آذر » وفيه يكون الاحسان إلى الضعفاء والعجزة وإيقام الصلاة ، وتقديم الهدايا لمعابد النار .

اليوم العاشر : « آبان » هو اليوم الرئيسى فى الشهر للقيام بالأعمال النافعة للزراعة .

اليوم الحادى عشر : « خور » وفيه ينبغى أن يؤدى كل أمر جميد .

اليوم الثانى عشر : « ماه » يوم الصلوات وترتيل الدعوات ، ويكره فيه الاشتغال بشئون الدنيا .

اليوم الثالث عشر : « تير » ويحسن فيه أن ينضم الانسان إلى أحد المعاهد ليتعلم فروع العلم المختلفة .

اليوم الرابع عشر : « گوش » آخر أيام الأسبوع الثانى من الشهر وفيه يستعرض الايرانى ما عمله خلال الأسبوع ليحاول أن يكثر من الخير . وفى هذا اليوم يجب أن يريح الانسان الماشية من العمل وألا يقرب لحمها وإن جاز له أن ينتفع بلبنها .

اليوم الخامس عشر : « دبمهر » للاعمال المتصلة بشئون الدين .

اليوم السادس عشر : « مهر » وفيه يقوى الانسان أواصر المحبة مع غيره من الناس ، يرعى المذنبين ليسير لهم حياة كريمة فى المستقبل ، ويعفو عن المجرمين ، ويشتغل بأعمال الخير والبر .

اليوم السابع عشر : « سروش » ويتحتم على الزردشتى فى هذا اليوم أن يتطهر من الآثام ويبتعد عن الخطيئة . ونظافة البدن مستحبة فى هذا اليوم .

اليوم الثامن عشر : « شن » يطلب فيه من الزردشتى أن يتوخى الصدق والحق والعدل وأن يجتنب الزيف فى القول ، والكذب فى الوعد ، والحنث فى القسم .

اليوم التاسع عشر : « فروردين » وتغلب الناحية الدينية على الأعمال التى تؤدى فيه .

اليوم العشرون : « بهرام » ويحسن فى هذا اليوم اقتناء أو الصيد .

اليوم الحادى والعشرون : « ارام » وهو يوم فرح وسرور وارتداء الجديد من الثياب .

يبلغ التكبيس شهراً كاملا كل مائة وعشرين سنة ينطبق عليه كل ما ينطبق على بقية الأشهر من حيث أسماء أيامه وترتيبها والأعمال التى تزاول فى كل يوم منها .

وظل الفرس القدماء يعملون بهذا النظام يكبسون كل مائة وعشرين سنة . وفى نهاية عهد الدولة الساسانية حل موعد الكبس أيام كسرى پرويز (٥٩٠ — ٦٢٨م) ولكنهم أهملوه لسبب غير مفهوم . ولم يتدارك من جاء بعد ذلك هذا الأهمال . وقضى على الدولة الساسانية وانتشر الاسلام ولم ينتبه أحد إلى تصحيح الوضع . وكان النوروز خلال هذه المدة يتقدم عن موعده سنة بعد سنة حتى إذا جاءت خلافة المتوكل حل النوروز متقدماً عن موعده فترة طويلة وكان الزرع لايزال أخضر والنباتات لم تثمر . وأثار هذا مشكلة أمام الدولة العباسية نذكرها فيما بعد إذ كيف تجمع الدولة الخراج من الناس الذين لم يجنوا ثمراً ولم يجمعوا محصولا بعد.

اليوم الثانى والعشرون : « واتا » يخصص للراحة ، وصحبة أهل الخير والتقى ، والاقتداء بهم .

اليوم الثالث والعشرون : « دبدين » من واجب الزردشتى فى هذا اليوم نشر الدين بين الناس وتشجيعهم على فعل الخير وتنفيرهم من ارتكاب الشر .

اليوم الرابع والعشرون : « دين » مما يجمل بالمرء أن يفعله فى هذا اليوم نشر الثقافة الدينية ، ويصلح فيه اعداد معدات الزواج ، وخطبة النساء .

اليوم الخامس والعشرون : « أرد » هو يوم رعاية الفقراء .

اليوم السادس والعشرون : « أستاد » وفيه يثاب المحسن ويعاقب المسىء . والامتناع عن القتال والشجار . والبيع والتجارة مما تنصح به الزردشتية فى هذا اليوم .

اليوم السابع والعشرون : « أسمان » يحسن فيه القيام بكافة الأعمال النافعة كالعبادة والتجارة

اليوم الثامن والعشرون : « زامياد » ويقبض فيه البذر والغرس والحرث .

اليوم التاسع والعشرون : « مهر سپند » ويصلح فيه التعلم والعلاج وكل عمل يؤدى إلى صفاء الروح وسلامة الجسد .

اليوم الثلاثون : « انران » هو آخر أيام الشهر وفيه يستعرض المرء أعماله خلال الشهر . ويبدأ الايرانى هذا اليوم باعطاء الفقراء وتقديم النذور للآلهة . وفيه يتطهر الناس ويتجملون بخير ما لديهم من الثياب ، ويفعلون كل ما فيه متعة ومسرة البدن والروح .

وكان الفرس يقيمون للحصاد عيداً يوافق عندهم أول أيام سنتهم الشمسية وهو يوم النوروز الذى كان يقع وقتذاك فى الحادى والعشرين من شهر يونيو أى فى بداية الصيف . ولكنه بعد ذلك قدم فجعل فى الحادى والعشرين من شهر مارس أى فى الاعتدال الربيعى عندما يتعادل الليل والنهار. وكان الموعد الجديد يحتفل به فى بعض المناطق من الامبراطورية الفارسية بينما بقى الاحتفال باليوم القديم قائما فى مناطق أخرى . وكما كان يحتفل بكلا الموعدين كذلك كان يعد كل منهما موعداً مناسباً لدفع الخراج (١) .

وكان كثير من ملوك الفرس يرفقون بالزراع عند جمع الخراج إذا أصابهم خسارة فى زرعهم أوثمرهم . وكان قضاة المناطق يبلغون الحكومة المركزية عن الاراضى التى أصيب زرعها أو تلف ثمرها ، وتقوم الحكومة بابلاغ المحصلين ليعفوا أصحابها من أداء المال المقرر (٢).

وكان من عادة كثير من الملوك إذا ولوا الملك أن يعفوا رعاياهم مما يكون متأخراً عليهم من الأموال تأليفاً لقلوبهم ، كما كان بعضهم يخفف الخراج على الناس وخاصة فى سنى القحط . وعندما طالت المجاعة على الناس فى زمن فيروز بن يزد جرد بن بهرام جور أسقط الملك عن الناس خراج الأرض (٣) .

ولم يكن الخراج وحده هو الذى يؤدى فى عيد النوروز فهناك الهدايا التى كانت تؤخذ من الناس جبراً (٤) .

---

(١) Legacy of Persia p. 65

(٢) كريستنسن : ايران فى عهد الساسانيين . الترجمة الفارسية لرشيد ياسمى ص ٢٥٨ والعربية للخشاب ص ٣٥٢

(٣) شاهنامه : ٨ — ٢٢٦٨

(٤) كريستنسن : الترجمة الفارسية ص ٧٦ والعربية ص ١١٣

وقد عرف عن الساسانيين نظام التفتيش . وكان المفتشون ينتشرون فى انحاء المملكة ليتفقدوا حال الزرع فاذا وجدوا الماء قد شح فى مكان أو الزرع قد جف أعفوا الزراع من الخراج وقدموا اليهم المساعدات اللازمة (١) .

وفى العهود الاسلامية كان العمل فى الدواوين يسير وفق الأنظمة التى نقلها العرب عن الفرس . وكان الطابع الفارسى غالباً على الشئون المالية فى المجتمع الاسلامى ، فكانت النقود الفارسية هى المتداولة حتى أيام عبد الملك بن مروان الذى غيرها بدنانير اسلامية . وبدأ عبد الملك بضرب لدراهم سنة ست وسبعين ثم أمر بعد ذلك بضرب الدنانير (٢) .

وعندما دون عمر بن الخطاب رضى الله عنه الدواوين احتذى حذو الفرس بناء على نصيحة بعض مرازبة الفرس له (٣) . وظلت الفارسية لغة الدواوين فى المشرق حتى عربت فى أيام الحجاج . والذى نقل الديوان من الفارسية إلى العربية صالح بن عبد الرحمن مولى بنى تميم ، وقد تتلمذ صالح فى الديوان على استاذه الفارسى زادا نفروخ . وعندما ترامى إلى الفرس خبر نقل الديوان إلى العربية سعوا إلى صالح وأغروه بمائة الف درهم ليتظاهر بالعجز عن نقله إلى العربية وينصرف عن هذا العمل ، ولكنه لم يضعف أمام إغرائهم وقام بنقله فعلا (٤) .

وإذا كانت لغة الديوان قد نقلت إلى العربية فان أسلوب العمل فيه استمر فارسيا وبقيت فى اللغة إلى فترة طويلة تلك الاصطلاحات الفارسية دليلا على هذا (٥) .

---

(١) شاهنامه : ٧ — ١٩٨٧

(٢) الأخبار الطوال : ٣٠٦

(٣) ابن طباطبا : الفخرى : ٧٥ ط المعارف .

(٤) ابن النديم : الفهرست ٣٣٨ ط مصر .

(٥) من هذه الاصطلاحات مثلا كلمة ديوان بمعنى شياطين أو مجانين جمع ديو . وفى سبب هذه التسمية يقال أن أحد ملوك الفرس دخل على موظفى الحسابات فوجدهم يحركون شفاههم

وظل العمل بموعد جمع الخراج فى العهود الاسلامية كما كان فى عهد الفرس أى فى أيام النوروز إلا أن المسلمين أهملوا الكبس الذى كان يعمل به الفرس . والحقيقة ان هذا الاهمال بدأ من الفرس أنفسهم فى أواخر عهد الدولة الساسانية أيام كسرى برويز كما أشرنا من قبل ثم انقضت أيام الساسانيين وأتى العهد الاسلامى دون أن يهتم أحد بتدارك هذا الاهمال الذى وقع منذ أيام كسرى برويز مما أدى إلى تقدم النوروز عن موعده فترة طويلة . وعندما استأذن عبيد الله بن يحيى الخليفة المتوكل فى فتح الخراج كان الزرع لايزال أخضر ولايصلح للحصاد ومن ثم فان الزراع لايستطيعون أن يدفعوا الخراج . وكثرت شكاياتهم من فتح الخراج فى غير موسم الحصاد فاضطر الخليفة المتوكل إلى أن يتقصى الأمر فأحضر الموبذ وسأله عن سر اختلال الأمر عما كان عليه أيام الفرس وطلب منه أن يشرح له كيف كان الفرس يفتتحون الخراج على الرعية فى مثل هذا الوقت الذى لم تنضج فيه المحاصيل ، فأخذ الموبذ يشرح له الأمر ويبين الأسباب التى أدت إلى اختلال موعد الحصاد زمن المتوكل وينبهه إلى ما كانت الفرس تفعله من الكبس ، وكيف كان يتم هذا الكبس ثم ماجرى بعد ذلك من تعطيل الكبس فى الاسلام حتى أضر تعطيله بمصالح الناس مما دعا الدهاقين إلى أن يجتمعوا عند خالد القسرى على عهد هشام بن عبد الملك ويطلبوا منه أن يؤخر النوروز شهراً فأبى ورفع الأمر بعد ذلك إلى هشام الذى أبى بدوره أن يجيبهم إلى طلبهم خوفا من أن يكون هذا

عند امراء السليات الحسانية فأطلق عليهم هذا اللفظ (ديوان) ثم أطلق بعد ذلك على مكان اجتماع الموظفين .

ومنها أيضاً كلمة طوج معرب تمر وهو ريع الدانق والطوج أيضاً الناحية معرب تاسو .

ومنها كلمة سفتجة بفتح السين وضمها وهى الحوالة المالية ، وكلمة دانق معرب دانك وهو ربع الدرهم ، كلمة كستبزود من كاست وفزود بمعنى النقص والزيادة .

التأخير مما ينطبق عليه قوله تعالى « انما النسيء زيادة فى الكفر » (١) وعاد الدهاقين يكررون مسعاهم زمن الرشيد وطلبوا من يحيى بن خالد بن برمك أن يؤخر النوروز شهرين حتى يعود الأمر كما كان أيام الفرس . وهم

---

(١) لم يكن مفهوم النسيء عند جميع العرب واحداً . وكان مفهومه عند بعضهم التأخير والتأجيل فاذا أقبل شهر المحرم ولم ينتهوا بعد من إغاراتهم ولم يفرغوا من ثاراتهم أجلوه إلى صفر لحرمة القتال فى المحرم ، فإن لم يتحقق لهم ما أرادوا أجلوا المحرم مرة ثانية أو ثالثة وهكذا حتى كانت السنة تصل عند بعضهم إلى ثلاثة أو أربعة عشر شهراً .

وكان مفهوم النسيء عند البعض الآخر ما نسميه الكبس وهو اضافة الفرق بين السنة الشمسية والقمرية لتصبح القمرية موازية للشمسية فتثبت بذلك مواقع الشهور القمرية فلا تتغير من سنة إلى سنة بحيث تقع مرة فى الصيف ومرة فى الشتاء . ويؤيد هذا ما يلاحظ فى أسماء الشهور العربية واشتقاقها من الظواهر الجوية الطبيعية الحادثة فيها ، فالربيع مثلا سمى بهذا الاسم لخصوبة الأرض فيه فى فترة معينة من السنة ، والجماديان انما سميا بذلك لجمود الماء فى فترتهما ، وسمى رمضان مثلا بهذا الاسم لوقوعه فى فترة الرمضاء واشتداد الحرارة ، وسمى شوال شوالا لأن الحرارة تخف فيه وهكذا . ويفهم من هذا أن الشهور القمرية كانت على هذا الاعتبار ثابتة فى مواعيد لا تتغير . ومرد هذا الثبوت إلى تلك الاضافة التى كانوا يضيفونها وهى المعروفة بعملية الكبس ومن كانوا يقومون بعملية النسيء على هذا النحو قوم من بنى كنانة يعرفون بالقلامسة أوتوا حظاً من العلم فى شئون التوقيت .

وقد أبطل الاسلام هذا النسيء بمختلف مفاهيمه فى السنة التاسعة للهجرة وجعل عدة الشهور عند الله اثنى عشر شهراً منها أربعة حرم (إن عدة الشهور عند الله أثنا عشر شهراً فى كتاب الله يوم خلق السموات والأرض منها أربعة حرم ذلك الدين القيم فلا تظلموا فيهن أنفسكم وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة واعلموا أن الله مع المتقين انما النسيء زيادة فى الكفر يضل به الذين كفروا يحلونه عاما ويحرمونه عاما ليواطئوا عدة ما حرم الله فيحلوا ما حرم الله زين لهم سوء أعمالهم والله لا يهدى القوم الكافرين) ، وعند ذلك أبطل المسلمون كل ما عرفوه من قبل من أنواع النسيء سواء كانت تأخيراً للاشهر لتحليل ما حرم منها وتحريم ما حلل أو كانت كبساً واضافة لتثبيت الأشهر القمرية فى مواعيد محددة لاتتجاوزها مع دوران السنين وعاد المسلمون بذلك إلى تقويمهم القمرى المعروف بينهم الآن (يسألونك عن الأهلة قل هى مواقيت للناس والحج) وصارت العبادات كالحج والصيام تؤدى كما نرى الآن ، فى أشهر بعينها من كل عام إلا أن هذه الأشهر لم تعد ثابتة فى وقت بعينه من السنة فأحيانا تقع فى الصيف ثم تدور مع الزمان حتى تقع بعد وقت فى الشتاء . ولكن لماذا فضل الاسلام أن يأخذ المسلمون بتقويمهم القمرى المعروف ؟ واضح أن أسلوب العرب فى موضوع التقويم لم يكن موحداً بدليل الخلاف الذى أشرنا اليه فى مفهوم النسيء عندهم . ومن أمثلة هذا الخلاف أيضاً أن مضر كانت تعظم شهر رجب بينما كانت ربيعة تعظم مكانه شهر رمضان ، وكان فى العرب من يحلون رجباً ويحرمون =

يحيى أن يجيبهم إلى طلبهم ولكنه عدل بعد ذلك عندما بلغه أن اعداءه يتهامسون بميله للمجوسية ويتهمونه بالتعصب لها . وظل أمر الكبس مهملا حتى جاء المتوكل الذى اقتنع بفكرة الكبس بعد أن شرحها له الموبذ وكلف ابراهيم بن العباس الصول أن يراجع الأمر مع الموبذ وأن يجعلا للنوروز موعداً ثابتاً لايتغير فوقع موعده الجديد فى السابع عشر من حزيران (يونيو) وأمر بتوجيه الكتب إلى الآفاق ليعملوا بهذا الموعد الجديد ويفتحوا الخراج فيه . وكان ذلك سنة ثلاث واربعين ومائتين . وقد قوبل قرار المتوكل بالترحيب والاستحسان لأنه أخّر جمع الخراج من الناس حتى ينضج المحصول ، ووفر لهم أيضا بهذا التأخير ما يقرب من خمس الخراج المطلوب . وفى قصيدة البحترى التى يمدح فيها المتوكل ومطلعها :

لك فى المجـــد أول وأخـير ومســـاع صغيرهن كبير

يقول مشيراً إلى التعديل الذى أدخله المتوكل على النوروز :

إن هذا النوروز عاد إلى العهد الذى كان سنه أردشير
أنت حولته إلى الحالة الأولى وقـــد كان حائراً يستدير
وافتتحت الخراج فيه فـــللأمة فى ذاك مرفق مذكور
منهم الحمد والثناء ومنك العدل فيهم والنائل المشكور

غير أن المتوكل قتل بعد ذلك ولم يتم الأمر على ماأراد . فلما جاء الخليفة المعتضد بحث الأمر من جديد وأجرى بعض التعديلات حتى استقر الرأى على أن يكون موعد النوروز فى الحادى عشر من حزيران .

= شعبان ، ومنهم من كان يخلط بين المحرم وصفر يحل أحدهما مكان الآخر على الدوام ، ومنهم من كان يتركهما فى موقعهما الصحيح سنة ثم يغير موقعهما سنة أخرى ، ومنهم من كان يبدلهما كل سنتين وهكذا . وكان من العرب من لم يعترف بحرمة الأشهر الحرم ولا يمنعه حلولها عن الإغارة والمقاتلة . وهكذا نرى أن الأمر بينهم كان فوضى لا وحدة فيه ولا نظام يسود بين الجميع على السواء .

ولما كان انتظام أمر الأمة لا يتم مالم ينتظم توقيتها رأى الاسلام أن يلغى كل ما كان بينهم من خلاف وأن يجمعهم على نظام موحد فى التوقيت فتتوحد بذلك أمور دينهم ودنياهم .

وكانت أهم التعديلات التى أدخلت أنهم أضافوا يوما إلى الخمسة المتروقة كل أربع سنوات على النحو الذى يجرى العمل به فى التقويم الأوربى . وعرف النوروز الجديد فى العالم الاسلامى بالنوروز المعتضدى نسبة إلى الخليفة المعتضد . وجرى العمل بهذا التقويم المعتضدى فى الدواوين فى جميع الشئون المالية والزراعية . وتلقى الناس النوروز المعتضدى بالفرحة والابتهاج . وأكثر الشعراء من القول فيه . ومن ذلك قول يحيى بن على المنجم :

يامحيي الشـــرف اللبـــاب	ومجدد الملك الخـــــراب
ومعيـــد ركن الدين فـــينا	ثابتـــا بعـــد اضمـــطراب
فت الملـــوك مـــبرزا	فوت المبرز فى الحـــلاب
اسعـــد بنيروز جمعـــت	الشكر فيـــه إلى الثـــواب
قـــدمت فى تأخـــير ما	قـــد قـــدموه إلى الصـــواب

وقوله :

يـــوم نيروزك يـــوم	واحـــــد لا يتأخـــر
من حـــزيران يـــواق	أبـــدا فى أحـــد عشر (١)

ومع أن النوروز المعتضدى ثبت فى موعد محدد من كل سنة يناسب جمع الخراج إلا أنه لم يسلم من العيوب . لهذا ألف السلطان ملكشاه السلجوقى فى سنة ٤٧٦ هـ لجنة من العلماء لاصلاح هذه العيوب . وكان من بين أعضاء تلك اللجنة الفلكى المشهور عمر الخيام . وانتهت هذه اللجنة إلى تعيين رأس السنة الشمسية «النوروز» فى أول نقطة من دخول الشمس برج الحمل بعد أن كان يقع عند توسط الشمس برج الحوت (٣) . ، ولا يزال إلى اليوم

---

(١) المسعودى : مروج الذهب ٤ — ٢٧١ ط ثالثة السعادة بمصر .

(٢) جلال الدين أبو الفتح ملكشاه من سلاطين السلاجقة العظام ٤٦٥ — ٤٨٥ هـ / ١٠٧٢ — ١٠٩٢ م .

(٣) ابن الأثير : حوادث سنة ٤٦٧

فى نفس الموعد عند الايرانيين . ويعترف العلماء الأوربيون أنفسهم بأن هذا التقويم الذى توصل اليه العلماء فى عهد السلطان ملكشاه يفوق فى دقته التقويم الجريجورى . ويسمى هذا التقويم بالتقويم الجلالى نسبة إلى السلطان جلال الدين ملكشاه كما سمى يوم النوروز فيه بالنوروز السلطانى نسبة اليه كذلك .

النوروز فى مصر :

والنوروز عند الأقباط فى مصر يقع فى أول يوم من توت ، وهو بداية السنة القبطية . وفى هذا اليوم يبلغ فيضان النيل ذروته ، ولهذا اتخذوه مبدأ لسنتهم .

وبين الفرس والقبط شبه كبير فيما يتصل بتوقيتهم ونوروزهم . وعدة الشهور فى السنة القبطية اثنا عشر شهراً كل شهر منها ثلاثون يوما ثم يضيفون بعد ذلك خمسة أيام يسمون كل واحد منها باسم أحد آلهتهم . وكانوا يجعلون هذه الأيام أعيادا تعرف عندهم بأعياد موالد الآلهة الكبرى .

وكانت السنة القبطية تنقسم إلى ثلاثة فصول تدور كلها مع مواسم الزراعة ، وهى فصل الفيضان أو الغمر ، وفصل البذر ، وفصل الحصاد . ولم يكن عند قدماء المصريين فى أول الأمر أسماء للشهور فكانوا يقولون مثلا الشهر الرابع من الفصل الثالث ثم سموا شهورهم بعد ذلك بأسماء آلهتهم . وكانت السنة تبدأ عند قدماء المصريين بوصول مياه الفيضان الحمراء إلى مدينة منف أى فى حوالى ١٩ يوليو ولكنهم عدلوها بعد ذلك وجعلوا بدايتها عندما تبلغ مياه الفيضان ذروة ارتفاعها فى ١١ سبتمبر وهو أول توت ، عيد النوروز عندهم .

وتتفق الأشهر القبطية كذلك مع الأشهر الفارسية فى تسمية كل يوم منها باسم خاص إذ كان المصريون القدماء ، كالفرس ، لم يعرفوا بعد تقسيم الشهر إلى أسابيع .

وخطبة العيد التى كانت تلقى بين يدى ملوك مصر القدماء صبيحة يوم عيد النوروز والتى اثبتها أحمد بن أياس فى تاريخه (١) ، نراها بنصها تقريباً فى صبح الأعشى للقلقشندى الذى يوردها فى كتابه نقلا عن ابن المقفع الذى حكى أنها تلقى بين ملوك الفرس . يقول القلقشندى : «وحكى ابن المقفع أنه كان من عادتهم (أى ملوك الفرس) فيه (أى يوم النوروز) أن يأتى الملك رجل من الليل قد أرصد لما يفعله مليح الوجه فيقف على الباب حتى يصبح فاذا أصبح دخل على الملك من غير استئذان ويقف حيث يراه فيقول له من أنت ؟ ومن أين أقبلت ؟ وأين تريد ؟ وما اسمك ؟ ولأى شيء وردت ؟ ومامعك ؟ فيقول : أنا المنصور ، واسمى المبارك ومن قبل الله أقبلت ، والملك السعيد أردت ، وبالهناء والسلامة وردت ، ومعى السنة الجديدة ثم يجلس ويدخل بعده رجل معه طبق من فضة وفيه حنطة وشعير وجلبان وحمص وسمسم وأرز : من كل واحد سبع سنبلات وسبع حبات وقطعة سكر ودينار ودرهم جديدان فيضع الطبق بين يدى الملك ثم تدخل عليه الهدايا . ويكون أول من يدخل عليه بها وزيره ، ثم صاحب الخراج ، ثم صاحب المعونة ، ثم الناس على طبقاتهم ، ثم يقدم للملك رغيف كبير مصنوع من تلك الحبوب فى سلة فيأكل منه ويطعم من حضر ثم يقول هذا يوم جديد من شهر جديد من عام جديد يحتاج أن يجدد فيه ماأخلق من الزمان . واحق الناس بالفضل والاحسان الرأس لفضله على سائر الأعضاء ثم يخلع على وجوه دولته ويصلهم ويفرق عليهم ماوصل اليه من الهدايا (٢) ، وهذا النص يكاد

---

(١) بدائع الزهور فى وقائع الدهور : ج ١ ص ١٩

(٢) صبح الأعشى : ج ٢ ص ٤٠٨ ط الأميرية .

يتطابق تماما مع النص الذى ذكره ابن أياس ، وهذا التطابق التام بين النصين إن دل على شيء فعلى شدة تمسك الفرس والمصريين القدماء بهذه التقاليد التى كانت تتبع عند ملوك الفرس والمصريين القدماء صبيحة يوم النوروز إلا أنه يثير الشبهة ويدعو إلى الشك فى خلط ابن أياس لأن اتحاد العبارات والجمل والأفكار فى الخطبتين إلى هذا الحد ليس مما يقبل بسهولة مهما يبلغ التأثير المتبادل بين المصريين القدماء والفرس .

ويرجع بعض الكتاب أن التوقيت الفارسى تأثر بما وجده الفرس عند المصريين القدماء . وقد غزا الفرس مصر أكثر من مرة ، وطردوا منها أكثر من مرة (١) ، وكان الملك الفارسى « دارا الأول » يحترم ديانة المصريين وقد عبر عن احترامه لدينهم بالهيكل العظيم الذى أقامه لمعبودهم آمون بواحة سيوة ، كما كان يشجع التجارة والاتصال بين الشعبين . وقد تردد كثير من الكهنة المصريين إلى ايران كما تردد رجال الدين الزردشتيون إلى مصر ، ومنها اقتبسوا نظام التوقيت (٢) .

---

(١) استولى الفرس فى عهد قمبيز على مصر سنة ٥٢٥ ق. م. وطردهم منها المصريون سنة ٤٨٦ ق. م . وشجعهم على ذلك انهزام دارا أمام الأغريق فى واقعة ماراثون .

ثم عاد الفرس مرة أخرى إلى مصر فى عهد أجوزسيس بن دارا وطردوا منها سنة ٤٠٥ ق. م. ويعرف عهد حكام الفرس هؤلاء فى تاريخ مصر بالأسرة السابعة والعشرين .

وعاد الفرس إلى مصر مرة ثالثة سنة ٣٤٠ ق. م. بعد أن غابوا عنها خمسة وستين عاماً وبعودتهم فى هذه المرة ينتهى عهد الفراعنة فى تاريخ مصر بعد أن حكموا وادى النيل قرابة أربعة آلاف عام .

وظل حكم الفرس فى مصر إلى أن قضى عليه الاسكندر الأكبر سنة ٣٣٢ ق. م. وبهذا خضعت البلاد لحكم الأغريق ثم الرومان . وبعد ذلك جاء العهد الاسلامى .

(٢) مجلة ياد كار العدد السابع من السنة الرابعة مقالة تقى زاده .